منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

WWW. almadasupplements.com

العدد (2771) السنة العاشرة - الاربعاء (10) نيسان 2013

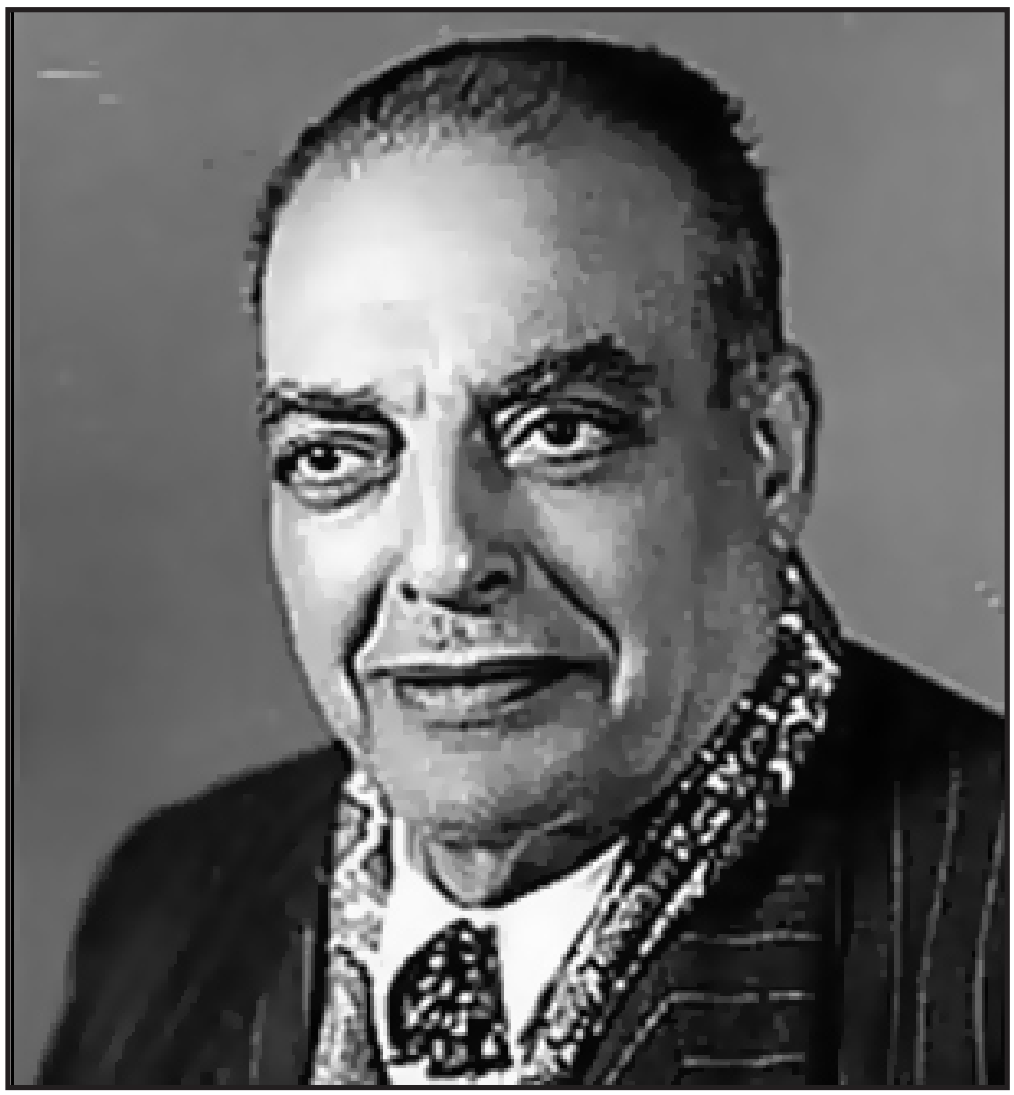

زكـــريا أحمـــد.. تاريخ حافل بالانغام

1896 - 1961

اعداد / منارات

الشيخ زكريا أحمد.. اسم كبير فى عالم الفن، وهو ليس فقط من كبار، له أكثر من ١٠٠٠ لحن منها ٦١ لحن لأم كلثوم، وقد غنى له كبار المطربين وقدم للمسرح عشرات الأوبريتات كما قدم العديد من الألحان للسينما وسجل بصوته بضعة ألحان منها لحنان للتليفزيون عام ١٩٦٠ أثارا إعجاب الجمهور القديم والجديد على السواء نظرا لأدائه المتفرد

تواريـــخ

عام ١٨٩٦ ميلاد زكريا أحمد فى ٦ يناير ١٨٩٦
عام ١٩١٤ زكريا أحمد منشدا
عام ١٩١٩ زكريا أحمد ملحنا
عام ١٩٢٤ زكريا أحمد يبدأ التلحين للمسرح ٦٥ أوبريت تضم ٥٠٠ لحن
عام ١٩٢٤ أول أوبريت لزكريا أحمد لفرقة علي الكسار
عام ١٩٢٧ لفرقة زكي عكاشة
عام ١٩٢٨ لفرقة نجيب الريحانى
عام ١٩٣٠ لفرقة صالح عبد الحي
عام ١٩٣١ زكريا احمد يلحن لأول مرة لأم كلثوم اللى حبك يا هناه من أشعار رامى
عام ١٩٣١ زكريا ملحن الدور يبدأ تلحين ٩ أدوار لأم كلثوم
عام ١٩٣٦ ألحان زكريا فى السينما بصوت أم كلثوم
عام ١٩٤١ زكريا وبيرم ثنائى يتجه نحو القمة مع صوت أم كلثوم
عام ١٩٤٣ زكريا يبدع الأغنية الحديثة مع أنا فى انتظارك وحبيبى يسعد أوقاته لأم كلثوم
عام ١٩٤٥ زكريا يتفرد بالألحان البدوية وشهرته تصل للعالم العربى مع السينما
عام ١٩٤٧ زكريا أحمد وأم كلثوم فى خلاف يستمر ١٣ سنة
عام ١٩٦٠ عودة زكريا للتلحين لأم كلثوم فى هو صحيح
عام ١٩٦٠ الشيخ زكريا يسجل بصوته للتليفزيون ويستحدث مفهوم الأداء الجيد
عام ١٩٦١ وفاة زكريا أحمد ١٥ فبراير ١٩٦١ بالقاهرة
عام ١٩٧٠ عودة مسرح زكريا أحمد للحياة فى سيدى منجد وعزيزة ويونس
عام ١٩٨٠ بداية إحياء ذكرى الشيخ زكريا بتقديم أعماله كل عام

زكريا أحمد - النشأة

من مواليد ٦ يناير عام ١٨٩٦ لوالده الشيخ أحمد حسن الذى كان يعمل بالجامع الأزهر ومن حفظة القرآن الكريم. كان والد زكريا يهوى سماع التواشيح الدينية ذات المقامات العربية الأصيلة، فتأثر به ونمت لديه هواية الألحان، لكن الوالد أراد لولده الاتجاه نحو المشيخة والعلم الدينى فألحقه بأحد الكتاتيب ثم بالمدرسة الابتدائية ثم التحق بالأزهر الشريف، فتلقى العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية وأجاد حفظ وتلاوة القرآن الكريم ومن هنا لقب بالشيخ زكريا، وكان للشيخ زكريا حضور فنى قوى أثناء دراسته بالأزهر، فهو الذى يثير الإعجاب فى منتديات القراءة والتلاوة بصوته وأدائه الفذ وكان نجم حفلات التكريم التى تقام فى المناسبات العلمية

كان زكريا أحمد يتمتع بحاسة موسيقية جعلته يتتبع غناء كبار المنشدين والمطربين وتأثر بمنشدى التواشيح الدينية كالشيخ درويش الحريرى، كما تأثر بألحان عبده الحامولى والشيخ سلامة حجازى، وكان يذهب إلى أماكن تواجدهم وحفلاتهم ويحفظ ألحان هؤلاء بسرعة عجيبة، وأصبح يشترى كتب الأغانى والموشحات والموسيقى

أزعجت هوايته هذه والده كثيرا فأخفى الشيخ زكريا كتب الأغانى وسط الكتب العلمية، لكن سرعان ما اكتشف أمره وعنفه أبوه بشدة وكان شديد القسوة معه، مما أخاف الشاب الصغير وجعله يترك منزل أبيه لا يعرف إلى أين يذهب وقد ضاقت به الدنيا

حزن الوالد كما اكتأب الولد لكن بعد ايام توسط أهل الخير بينهما فعاد اشيخ زكريا إلى منزل أبيه، وبدأ الأب اللذى استبد به القلق على مستقبل ابنه ومصيره يحاول إسداء النصح له.. إن الفن فى رأيه لا يطعم ولا يفيد، وهاهم أساطين الطرب وأساتذة التلحين عبده الحامولى ومحمد عثمان ومحمد سالم، قد ماتوا جميعا فقراء..

لم يكن ذلك المنزل الذى عاد إليه زكريا بالمنزل الهادئ بأى حال، فقد ماتت والدته وتزوج والده بأخرى كانت تتفنن فى تدبير المكائد له وتثير عليه والده باستمرار حتى يئس من حياة مستقرة، وبدأت الفن يلهب خياله ويواسيه فى معاناته، فسار في طريق الفن يزور المسارح ويرتاد الحفلات ليسمع ويتعلم وأصبح الفن ملاذه وملجأه

الأســـاتذة

الشيخ درويش الحريرى

كان من حظ الشيخ زكريا أن التقى بالموسيقار الشيخ درويش الحريري ولاحظ هذا الأخير حب الشيخ الصغير للفن وحرصه الشديد على التعلم كما قدر فيه حاسته الموسيقية وحسن استماعه وحفظه السريع،

فقرر أن يهب تلميذه مما وهبه الله من علم بالفنون وأسرارها ودرس الشيخ زكريا على يديه العلوم الموسيقية، وكان أول ما درس ألحان المولد النبوى وفنونها من مقامات وأوزان فحفظها وأجاد أداءها

الشيخ علي محمود

تقديرا منه لتلميذه ألحق الشيخ الحريرى تلميذه زكريا ببطانة الشيخ علي محمود الذي كان خبيرا بالعلوم الموسيقية وفن التلاوة، فكان يحضر معه التسابيح التي تتلى قبل الفجر بساحة مسجد الحسين بالقاهرة، كانت تلك التسابيح تؤدى من مقامات موسيقية مختلفة على مدى أيام الأسبوع، وتعلم منها الشيخ زكريا الكثير
الشيخ على المغربى، وقد تلقى زكريا أصول علم المقامات والأوزان وكيفيات التلحين
الشيخمحمود عبد الرحيم المسلوب، وهو أستاذ من أساتذة سيد درويش، وقد أخذ عنه الموشحات العربية
عبده الحامولى المطرب الأول حتى نهاية القرن ١٩
محمدعثمان ملحن الأدوار الفذ حتى بداية القرن العشرين
إبراهيم القباني، ملحن الأدوار المعروف فى بداية القرن العشرين

البدايات الفنية

فى عام ١٩١٤ فى بداية حياته الفنية التحق الشيخ زكريا منشدا ببطانات المشايخ كالشيخ على محمود والشيخ إسماعيل سكر وبدأ يظهر فى حفلاتهم، فتعرف الناس على صوت زكريا أحمد وأدائه المتميز، ثم بدأت الفرق الغنائية الأخرى تجتذبه للعمل بها، منها فرقة الشيخ أحمد الحمزاوي والشيخ سيد مرسي، وحصل الشيخ زكريا فى بداية طريقه على إعجاب الناس والفنانين على السواء

الشيخ زكريا أحمد الموسيقار والملحن

فى عام ١٩١٩ بدأ الشيخ زكريا مشواره الفنى كملحن، بعد أن اكتملت المعرفة الفنية بحفظ التراث ودراسة أصول الموسيقى والتلحين والتدوين الموسيقى، وقدمه الشيخان الحريرى وعلى محمود لإحدى شركة الاسطوانات كملحن موهوب، فتعاقد معها على بعض الألحان، وبهذا بدأت نجحت أول تجربة احترافية له

المسرح الغنائى

فى عام ١٩٢٤ قرر الشيخ زكريا التلحين للمسرح الغنائى، واستمر يلحن المسرحيات الغنائية لمختلف الفرق حتى بلغ عدد أوبريتاته ٦٥ أوبريت، وهو بذلك يمتلك أكبر قائمة من بين الملحنين فى التلحين للمسرح، ومنها:

لفرقة علي الكسار
عام ١٩٢٤ دولة الحظ
عام ١٩٢٥ الغول، ناظر الزراعة، عثمان ح يخش دنيا، الطنبورة، الخالةالأميركانية، ابن الرجا
عام ١٩٢٦ ٢٨يوم، أنوار، آخر المودة،نادي السمر، أبو زعيزع، الوارث، حكيم الزمان
عام ١٩٢٧ملكة الجمال، قفشتك، ابن فرعون، زهرة الربيع، الساحر ابو فصادة، حلم ولا علم،السكرتير، غاية المنا، بدر البدور، خمسة مليون
عام ١٩٢٨ الكنوز
عام ١٩٢٩ العروسة و العيلة و مين فيهم، ما فيش منها، ابن الاومباشى، طاحونة الهوا،ملكة الغابة
لفرقة زكي عكاشة
عام ١٩٢٧ على بابا، الأستاذ
لفرقة نجيب الريحانى
عام ١٩٢٨ ياسمينة، البلابل، الدنيا جرى فيها إيه
لفرقة صالح عبد الحي
عام ١٩٣٠ قاضي الغرام، عيد البشاير، الهادى لفرقة منيرة المهدية
روايات أبو النوم، الأميرة الهندية
للفرقة القومية للتمثيل والموسيقى
رواية عزيزة ويونس، وهى آخر ما قدم للمسرح
احتوت أوبريتات زكريا ومسرحياته على أكثر من ٥٠٠ لحن لاقى معظمها النجاح والانتشار وساهمت فى صنع مجد الشيخ زكريا الفنى، كما ساهمت فى صنع ذوق الجمهور بالحفاظ على النغم الشرقى الأصيل

ألحان الأدوار

عاصر الشيخ زكريا مجد الدور الغنائى وكان لابد له من تثبيت أقدامه فى ذلك المضمار، وبدأ عام ١٩٣١ تلحين لحن ٩ أدوار لأم كلثوم منها يا قلبي كانمالك (راست)، هو ده يخلص من الله (زنجران)، إمتى الهوى ييجى سوا (هزام)، ومعظمها من نظم مؤلفين قدامى
والشيخ زكريا هو آخر من لحن الدور من الملحنين وكان آخرها دور عادت ليالى الهنا لأم كلثوم من نظم أحمد رامى عام ١٩٣٨، وبهذا الدور انتهت تقريبا دورة الأدوار التى بدأها عبده الحامولى ومحمد عثمان فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، حيث تراكمت التحديثات بفضل المجددين الرواد فى أوائل القرن العشرين، شعراء وملحنين، مؤدية إلى ظهور الأغنية الحديثة وصعودها إلى قمة القوالب الغنائية، ولم يعد يغنى الدور بعد ذلك إلا فى إطار إحياء التراث

الأغانى والطقاطيق

كان تأثير ألحان الشيخ زكريا من الأغانى والطقاطيق ساحرا لا يجارى، فهو يتبارى مع الملحنين الآخرين فى إبراز جانبين غاية فى الأهمية، الموسيقى الشعبية والأنغام الشرقية فيستقبلها الجمهور بحفاوة بالغة لما فيها من أصالة وخفة فى نفس الوقت، وقد صنع الشيخ زكريا من كلمات بيرم التونسى الشعبية صورا فنية هى لآلئ نادرة يصعب تصور تلحينها بواسطة غير من الملحنين
وقد سجل بعض ألحانه بصوته مثل ياللى باهواك، قلبى يميل، انت ياعينى، ياجريح الغرام
ومن أغانيه المشهورة الورد جميل وأغنية ياصلاة الزين، وقد غناها بنفسه للتليفزيون المصرى بعد تسجيلها بصوت أم كلثوم بنحو عشرين عاما فى عام ١٩٦٠ وهو فى الرابعة والستين من عمره، وقد انبهر الناس بأداء الشيخ زكريا لهاتين الأغنيتين واهتزت مشاعرهم حتى صار المطربون، بل وبعض الملحنين، يقلدون أداءه وهو فى تلك السن، وبهذا الأداء أدخل زكريا أحمد مفهوما جديدا على الأغنية العربية أصبح اصطلاحا معروفا فيما بعد ويقصد به الأداء، فقد قبل الجمهور ربما لأول مرة فى تاريخ الشرق غناء من صوت لا يمكن أن يكون مطربا، إنه شيخ كبير، ذو صوت أجش، نفسه متقطع، ولم يحترف الغناء من قبل طويلا بل ظل ملحنا معظم مشوار احترافه، لكن بعض الناس قالوا بأن أداء الشيخ زكريا تفوق، وبكثير، على أداء أم كلثوم نفسها فى أغنية الورد جميل، ولم يكن الجمهور هو الجمهور، فقد كانت هناك أجيال جديدة فى عصر التليفزيون تذوقت أداء زكريا أحمد الرائع كما تذوقه الجيل القديم
ومن أغانيه الوطنية يا أرض زلزلى عرش الطغاة الظالمين، خلى السيف، ياويل عدو الدار
ومن أشهر مونولوجاته حاتجن ياريت يا اخواننا مارحتش لندن ولا باريس، يأهل المغنى دماغنا وجعنا
ولفتحية أحمد أغنية ما زالت تردد لليوم هى يا حلاوة الدنيا

الشيخ زكريا والسينما

قدم الشيخ للسينما ألحانه فى جميع أفلام أم كلثوم التى بداية من عام ١٩٣٦، كما قدم العديد من الألحان فى أفلام أخرى، ويذكر له أنه كان من أبرع الملحنين فى تلحين الأغانى البدوية التى كان يصيغ معظمها بيرم التونسى وحققت له نجاحا خاصا فى البلاد العربية التى كانت تقبل على اللهجة البدوية فى الأغانى

الشيخ زكريا وأم كلثوم

بدأ الشيخ زكريا التلحين لأم كلثوم عام ١٩٣١ بأغنية اللى حبك يا هناه من تأليف أحمد رامى، ولزكريا أحمد سجل طويل من الأغنيات التى لحنها لأم كلثوم بلغت حوالى ٦٠ أغنية بعضها للسينما، وكان آخر ألحانه لها أغنيتها الشهيرة هوه صحيح الهوى غلاب عام ١٩٦٠
ومن أشهر ما لحن لها أهل الهوى، الآهات، الأمل، أنا فى انتظارك، كل الأحبة اتنين، هوه صحيح، غنى لى شوى شوى، عن العشاق سألونى، الورد جميل، الليلة عيد (حبيبى يسعد أوقاته)
تميزت ألحان زكريا لأم كلثوم بطابع خاص جعلها تتميز عن ألحان غيره لها، وغير ألحان الأفلام فإن ما غنته له على المسرح فى حفلاتها يعتبر من درر الموسيقى الشرقية، والحقيقة أن نهر الشيخ زكريا الذى لا ينضب من الأحان البديعة والغنية جعل بعض النقاد يقولون بأن الشيخ زكريا كان يخيف الملحنين الآخرين، فألحانه تفيض فيضا تلقائيا لا تصنع فيها ولا تكلف، ويتلقاها الجمهور دائما بالإعجاب، ورغم إعجابه بصوت أم كلثوم وإعجابها هى الأخرى بألحانه لم تكن علاقتهما دائما على ما يرام، بل كان بينهما محاكم وقضايا فى بعض الأحيان، ويذكر أن طلبت منه أم كلثوم لحنا ذات مرة فطلب خمسة آلاف جنيه ثمنا له وكانت أجور الألحان وقتئذ بالمئات وليس بالآلاف، وعندما رفضت أم كلثوم طلبه تقاطعا لسنوات، لكنهما عادا واصطلحا ولحن لها عام ١٩٦٠ هوه صحيح الهوى غلاب من كلمات بيرم التونسى قبل وفاتهما بعام واحد.

من أهم ألحان زكريا لأم كلثوم

عام ١٩٣١ اللى حبك يا هناه (طقطوقة / راست)،
هوه ده يخلص من الله (دور / زنجران)،
جمالك ربنا يزيده (طقطوقة / جركاه)، يا قلبى كان مالك (دور / راست)
عام ١٩٣٢ إمتى الهوى (دور / راحة أرواح)، العزول فايق ورايق (طقطوقة / عراق)
عام ١٩٣٤ شجانى نوحى (مونولوج / بياتى)
عام ١٩٣٥ آه يا سلام (دور)
عام ١٩٣٦ يا ليل نجومك (أغنية / صبا)، مين اللى قال (دور / راست)
عام ١٩٣٨ عادت ليالى الهنا (دور / بياتى)
عام ١٩٤٠ بكرة السفر (طقطوقة / بياتى)
عام ١٩٤١ (أغنية / راست)
عام ١٩٤٢ القطن فتح (أغنية / صبا)
عام ١٩٤٣ أنا فى انتظارك (أغنية / حجاز)، الآهات (أغنية / هزام)،
حبيبى يسعد أوقاته (الليلة عيد – أغنية / بياتى)
عام ١٩٤٤ أهل الهوى (أغنية / نهاوند)، الأوله فى الغرام (أغنية / حجاز)
عام ١٩٤٥ عن العشاق (أغنية / زنجران)، قوللى ولا تخبيش (طقطوقة / هزام)،
غنى لى شوى (طقطوقة / راست)، زهر الربيع (قصيدة / هزام)
عام ١٩٤٦ الأمل (أغنية / راست)، حبيب قلبى وافانى(أغنية / راست سوزناك)
عام ١٩٤٧ جمال الدنيا (طقطوقة / شورى)، نصرة قوية (أغنية / راست)،
الورد جميل (أغنية / هزام)
عام ١٩٦٠ هوه صحيح الهوى غلاب (أغنية / صبا)

الشيخ زكريا وسيد درويش

يقال كثيرا أن الشيخ زكريا قدم بألحانه امتدادا لألحان الشيخ سيد درويش، وربما يحتاج هذا القول إلى بعض التأمل
على سبيل المثال لا الحصر هناك ثلاثة ألحان مشهورة للشيخ زكريا هى من مقام جديد على الموسيقى العربية هو من ابتكار الشيخ سيد درويش وهو مقام الزنجران، أما الألحان فهى دور هوه ده يخلص من الله لأم كلثوم، أغنية عن العشاق سألونى لأم كلثوم، وأغنية يا حلاوة الدنيا لفتحية أحمد، وهذا وحده يدل على أن زكريا أحمد قد سار على خطى سيد درويش رغم أنه عاصره.
الألحان الموغلة فى الشرقية التى قدمها الشيخ زكريا، والمليئة بالصور الشعبية توحى بإخلاصه للتراث الشعبى كمصدر لموسيقاه وألحانه كما كان الحال مع سيد درويش، وإذا سمعنا الناس فى الأفراح والمناسبات الشعبية يغنون يا صلاة الزين، ويغنون يا حلاوة الدنيا فى ابتهاج ومرح بعد مرور نحو نصف قرن على تلحينها فهو أمر يستحق النظر، والحقيقة إن أغنية الليلة عيد لأم كلثوم (حبيبى يسعد أوقاته) قد أصبحت تراثا ليس فنيا فقط، بل تقليدا اجتماعيا قل أن ينجح أحد فى صنع مثله، إن أغنية واحدة لا تصنع مجد فنان، لكنها إذا أصبحت رمزا شعبيا لدرجة أن لا يشعر الناس بمقدم العيد إلا بسماعها مهما مرت السنين يجعلنا نضع هذا الفنان فى مصاف صناع التراث

الشيخ زكريا وبيرم التونسى

لا يمكن أن يأتى زكريا أحمد دون ذكر بيرم التونسى، والعكس صحيح، فقد تلازم الاثنان تلازما شخصيا وفنيا وكونا معا ثنائيا غزير الإنتاج عميق التأثير فى الناس والمجتمع، ولا تزال أعمالهما المشتركة تردد للآن وكأنها صنعت بالأمس القريب
ومن أعمال زكريا وبيرم المشتركة..
أغانى أم كلثوم، أجمل أغانيها ومنها بكرة السفر، يا فرحة الأحباب، أنا فى انتظارك، الآهات، الأوله فى الغرام، حبيبى يسعد أوقاته، أهل الهوى، غنى لى شوى شوى، عن العشاق سألونى، قوللى ولا تخبيش يا زين، الأمل، حبيب قلبى وافانى (الحلم)، نصرة قوية، الورد جميل، هوه صحيح
مونولوجات حاتجن ياريت يا اخواننا مارحتش لندن ولا باريس، يأهل المغنى دماغنا، أدى وقت البرنيطة، قدر ده وده
أوبريتات أوبريت عزيزة ويونس
اقترب زكريا من بيرم كثيرا حتى فى قدرهما، فقد عاشا تقريبا لنفس العمر وتوفى الشيخ زكريا فى ذكرى الأربعين لوفاة بيرم

إحياء ذكرى الشيخ زكريا

فى عام ١٩٧٠ أى بعد وفاته بعشر سنوات كانت ألحان زكريا أحمد لأم كلثوم ملء الأسماع، لكن بدأت تظهر على الساحة ألحان لزكريا غير تلك التى غنتها أم كلثوم، وبعد طول غياب، فأعيد تقديم أوبريتات سيدى منجد وعزيزة ويونس، وعادت للظهور ألحان لم يسمعها الجمهور مثل حلاوة الدنيا، وحاتجن يا ريت يا اخواننا، كما قدمت ألحان لم يقم بتسجيلها مثل أدى وقت البرنيطة، قدر ده وده ياما ناس كمالة عدد، وجميعها من نظم بيرم، ولاقت تلك الأعمال قبولا جماهيريا كبيرا وتنافست فرق الكورال على حفظها وتقديمها فى برامجها، وقد بدأت هذه الحركة فى الإسكندرية مسقط رأس بيرم وسيد درويش وكان الشيخ زكريا يتردد عليها باستمرار، وكانت تربطه صداقة بملحن سكندرى محب لألحان الشيخ زكريا وسيد درويش هو محمد عفيفى، وبعد وفاة زكريا قرر محمد عفيفى أن يقدم ما لديه من كنوز غير معروفة للشيخ زكريا، أسوة بما كان يقدمه من أعمال سيد درويش وقام بكتابة النوت الموسيقية وتدريب الفرق عليها، ثم بعدها بعشر سنوات أخرى بدأ تقليدا بإحياء ذكراه مع ذكرى بيرم كل عام حيث تقاربت تواريخ مولدهما ووفاتهما فى احتفال بأحد مسارح المدينة، كانت القاهرة مشغولة فى السبعينات بألحان محمد عبد الوهاب وبليغ حمدي والسنباطي ومن هم بعدهم، بينما نسى الناس الملحنين السابقين الذين توقفوا عن التلحين، حتى من كان منهم على قيد الحياة مثل كمال الطويل، ومحمد القصبجي، غير أن حركة الإسكندرية نجحت فى تصدير الفكرة إلى القاهرة بعد عشر سنوات ثالثة! وبدأت فرق القاهرة تقدم ألحان الشيخ زكريا من جديد وتحيى ذكراه بانتظام مع ذكرى بيرم التونسي.

أحد عمالقة الموسيقى العربية، هو زكريا احمد حسن صقر مرزبان مواليد ٦ يناير ١٨٩٦، والده حافظ للقران و هاو لسماع التواشيح مما أكسب زكريا الحس الموسيقى. دخل الكتاب ثم درس بالأزهر، و ذاع صيته بين زملائه كقارئ و منشد ذى صوت حسن.درس زكريا الموسيقى على الشيخ درويش الحريري الذى ألحقه ببطانة إمام المنشدين الشيخ علي محمود، كما أخذ زكريا الموسيقى على الشيخ المسلوب و إبراهيم القباني وغيرهم.في عام ١٩١٩ بدأ زكريا احمد رحلته كملحن بعد أن اكتملت لديه معرفة الموسيقى و تفاصيلها ولم يتاثر كثيرا بالموسيقى الغربية، حيث قدمه الشيخ علي محمود و الشيخ مرسي الحريري لإحدى شركات الإسطوانات.في عام ١٩٢٠ بدأ التلحين للمسرح الغنائي، و لحن لمعظم الفرق الشهيرة مثل فرق علي الكسار و نجيب الريحانى و زكي عكاشة و منيرة المهدية و غيرها، و بلغ عدد المسرحيات ٦٥ مسرحية لحن خلالها أكثر من ٥٠٠ لحن.

وجيه ندى

زكريا احمد عاشق الموسيقى

في عام ١٩٣١ بدأ التلحين لأم كلثوم، حيث لحن لها عشر أدوار أولها هو ده يخلص من الله لبديع خيري من مقام زنجران سنة ١٩٣١،وابتسام الزهر من مقام حجاز كار واه يا سلام لحسن صبحي من مقام راست وامتي الهوي يجي سوا ليحيي محمد ومن مقام هزام وعادت ليالي الهنا ومن تاليف احمد رامي ومن مقام بياتي ومين اللي قال ان القمر لعبد الرحمن فياض ومن مقام راست و وماكانشي ظني ليحيي محمد ومن مقام عجم عشيران و ياللي تشكي م الهوي لاحمد رامي ومن مقام بياتي وياقلبي كان مالك ليحيي محمد ومن مقام راست و شجاني نوحي بكيت لاحمد رامي ومن مقام هزام حتي سنة ١٩٣٩. كما لحن لأم كلثوم الكثير من أغاني أفلامها مثل الورد جميل، غني لي شوي شوي، ساجعات الطيور، قولي لطيفك. كما لحن لها في الأربعينيات عددا من الأغاني الكلاسيكية الطويلة التي صارت علامات فارقة في تاريخها مثل الأهات، أنا في انتظارك، الأمل، حبيبي يسعد أوقاته، أهل الهوى، حلم. و اختلف معها سنة ١٩٥٠م، و حتي عام ١٩٦٠م. و يعد زكريا احمد من رواد فن الطقطوقة حيث ارتقي به شوطاً عظيما، كما كانت ألحانه كلها غارقة في العروبة و الأصالة. و أعيد تقديم اعماله المسرحية سنة ١٩٧٠م إحياءً لذكري هذا العملاق وكان والده يهوي سماع الغناء العربي الأصيل فتأثر به، وبعد حصوله على شهادة الابتدائية التحق بالأزهر الشريف حتي أجاد تلاوة القرآن الكريم، ونظرا لحبه الشديد للغناء التحق ببطانة المشايخ أمثال على محمود وإسماعيل سكر الذي صاحبه في رحلاته، ومن هنا بدأ الناس يتعرفون على صوت زكريا أحمد الذي تأثر بمنشدي التواشيح الدينية وفي مقدمتهم الشيخ درويش الحريرى، كما تأثر بألحان عبده الحامولي والشيخ سلامة حجازى. بدأ حياته الموسيقية كملحن في الفترة ما بين ١٩١٩ و ١٩٢٢. في غام ١٩٢٤ أتجه إلي المسرح الغنائي ليلحن بعض المسرحيات الغنائية، وقد وضع ألحانا كثيرة لمسرحيات على الكسار منها " دولة الحظ ?وهي من تاليف امين صدقي وقامت بالغناء فاطمه سري و الغول ? حكيم الزمان ? أنوار الطنبورة ? ملكة الغابة "، كما لحن لفرقة أخوان عكاشة ١٩٢٦ بعض المسرحيات منها " على بابا ? من تاليف توفيق الحكيم الوارث ? الأستاذ " ويا سمينه لبديع خيري وكان الغناء للمطربه عليه فوزي وأهم الروايات التي لحنها للمطربة منيرة المهدية " أبو النوم "، " الأميرة الهندية "، ومن أهم مسرحياته لفرقة الريحاني مسرحية " ياسمينا " ومسرحية " الدنيا جري فيها إيه " وكانت آخر أعماله المسرحية للفرقة القومية للتمثيل والموسيقي رواية " عزيزة ويونس " ساهم أيضا في تلحين الأغاني الوطنية منها : " يا أرض زلزلي عرش الطغاة الظالمين ? خلي السيف "، كما لحن بعد ثورة يوليو أغنية" ياويل عدو الدار ". سجل بعض ألحانه على أسطوانات بصوته مثل " ياجريح الغرام ? أنت ياعيني ? ياللي بهواك ? قلبي يميل "، واشترك أيضا مع بيرم التونسي في إنتاج منولوجات منها :- " ح تجن ياريت ياخوانا مارحتش لندن ولا باريس ? يأهل المغني دماغنا وجعنا " ألحانه للسينما وشارك في تلحين٧٣ فيلماً، تضمنت ٩١ أغنية..١٩٣٢ أنشودة الفؤاد، غناء نادرة. ١٩٣٤، النائبان، أو المندوبان. ١٩٣٥، بسلامته عاوز يتجوز. ١٩٣٦، وداد، أم كلثوم. ١٩٣٧، نشيد الأمل، أم كلثوم. ١٩٣٧، مبروك. ١٩٤٠، ليلي بنت الريف ليلي مراد. ١٩٤٠، دنانير أم كلثوم. ١٩٤٠، عاصفة على الريح. ١٩٤١، العريس الخامس. ١٩٤١، الشريد. ١٩٤٢عايدة ونداء القلب. ١٩٤٤ البؤساء وسلامة والقلب له واحد وليلة الحظ وأرض النيل. ١٩٤٥ الآنسة بوسة وأميرة الأحلام وليلي بنت الفقراء وكازينو اللطافة ونور من السماء. ١٩٤٧ أنا ستوتة وفاطمة. ١٩٤٨ نرجس. ١٩٥٠ حبيبتي سوسو. ١٩٥١ البنات شربات وآدم وحوا. ١٩٥٢ مسمار جحا وأنا وحدي وحكم قراقوش ١٩١٩ ومن أهم تسجيلاته بصوته "الأمل"، "أنا في انتظارك"، "أهل الهوي

ياليل"، "يا صلاة الزين"، "الورد جميل"، "دور ضيعت مستقبل حياتي" من ألحان الشيخ سيد درويش، ودور "الفؤاد ليه نهاره". وألحانه المسرحية ولحن لفرقة على الكسار ثلاثين مسرحية. ١٩٢٤، الغول، لبديع خيري. دولة الحظ لأمين صدقي. . ١٩٢٥، ناظر الزراعة لأمين صدقي. عثمان حيخش دنيا لبديع خيري. الطمبورة لحامد سيد. الخالة الأمريكانية لحامد سيد. إبن الراجا لبديع خيري. . ١٩٢٦، ٢٨ يوم لحامد سيد. أنوار لبديع خيري. آخر موضة لخيري. نادي السمر لسيد الكونفال. أبو زعيزع لخيري. الوارث لخيري. حكيم الزمان لجبرائيل أجفا وأحمد زكي.. ١٩٢٧، السفور. البرنس الصغير. مملكة الجمال. قفشتك وزهرة الربيع كلها لحامد سيد. وإبن فرعون لأحمد زكي.. ١٩٢٨، البلابل والكنوز لبديع خيري.. ١٩٢٩، العروسة. العيلة. مين فيهم. أبن الأومباشي. طاحونة هوا كلها لسيد حامد. مافيش منها. وملكة الغابة لخيري.فرقة زكي عكاشة لحن ثلاث مسرحيات: ١٩٢٦ على بابا لتوفيق الحكيم، الأستاذ والحساب لبديع خيري ١٩٢٧.فرقة منيرة المهدية:. ١٩٢٧ أبو النوم. الأميرة الهندية لحامي سيد. و ١٩٣٨ جيوكوندا والأميرة روشنارا لخيري.فرقة عزيز عيد وفاطمة رشدي سبع مسرحيات:. ١٩٢٧، سالامبو. بدر البدور. ١٩٢٨، حلم ولا علم. ١٩٢٨، الساحر أبو فصادة. السكرتير. غاية المنى. ٥ مليون. فرقة نجيب الريحاني ثلاث مسرحيات:، ياسمين. ١٩٣٨، أنا وانت. ١٩٣٩الدنيا جري فيها إيه. وفرقة صالح عبد الحي مسرحيتان:
١٩٢٩، قاضي الغرام و١٩٣٠، عيد البشاير. فرقة يوسف وهبي مسرحية واحدة:، الهاوي الفرقة القومية مسرحيتان:
١٩٤٠، يوم القيامة و١٩٤٥، عزيزة ويونس. للمعهد العالي للموسيقى
١٩٤١، مسرحية سيدي المنجد فقط ومن اقواله : أمن العدل أن تذاع أغاني التي حرقت فيها أعصابي وتستفيد منها الإذاعة والمغنون وأنا صاحبها لا أستفيد.. أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس وكان الشيخ زكريا احمد وقتها قد أقام دعوي أمام القضاء ضد الإذاعة المصرية والمطربة أم كلثوم مطالبا بمبلغ سبعة وثلاثين ألف جنيه حقوقه من الألحان التي تذاع باسمه منذ عام١٩٣٦ واستمر الخلاف في المحاكم ما يقرب من١١ عاما، ولم ينته إلا بتدخل الرئيس جمال عبدالناصر الذي أرسل أنور السادات ومحمد حسن الشجاعي للقيام بدور الوساطة في جلسة سرية،وعن معرفة زكريا احمد بام كلثوم يصرح في حياته ويقول.. عرفت أم كلثوم وهي صغيرة وكانت روحها أجمل ما فيها.. يا سلام.. كنت أقعد وأنا وهي ع الطبلية نغمس ونضحك والكلام ده سنة١٩١٩ ولسه فاكر زي النهاردة لما كنا راجعين من الحفلة وكانت هي طايرة من الفرح ويومها أكلنا وزة وحلة ملوخية.. في شبابي ضحكت على أم كلثوم بإوزة تمنها أربعة قروش ولما كبرت ضحكت على في أربعين ألف جنيه.. لقد بدأت المودة بين الشيخ والمطربة بإوزة وانتهت بقضية، وبين الإوزة والقضية، أي بين عام١٩١٩ وعام١٩٦٠ وصدحت ام كلثوم من موسيقي زكريا احمد بالعشرات من الاعمال ومنهم اللي حبك يا هناه – القطن فتح – الوداد روح المحبه – قالوا امتي قلبك يطيب – بكره السفر – جمال الدنيا يحلا – ياليل نجموك شهود – يا ما امر الفراق – يا بشير الانس – يا فرحة الاحباب – شجاني نوحك بكيت – حرمت اقول بتحبيني – رحلت عنك – عادت ليالي الهنا – فين يا ليالي الهنا – مالك يا قلبي حزين – فضل لي ايه يا زمان – من تاليف احمد رامي الاوله في الغرام – الامل – الاهات – الورد جميل – الفوازير – انا في انتظارك – سلام الله على الاغنام – عيني يا عيني – اهل الهوي – في نور محياك – برضاك يا خالقي – حلم – حبيبي يسعد اوقاته – غني لي شوي شوي – نصره قويه هو ده يخلص من الله – هو صحيح الهوي غلاب – ظلموني الناس – من نظم بيرم التونسي الليل يطول ويكيدني والاعمال من تاليف حسين حلمي المناسترلي اكون سعيد – العزول فايق ورايق – جمالك ربنا يزيده – ليه عزيز دمعي من تاليف حسن صبحي قصيدة ايها الرائح المجد من نظم الشريف الرضي زهر الربيع للشاعر محمد الاسمر – قولي لطيفك من فيلم دنانير من نظم الشاعر السوري العاصي عبد الوهاب والملقب بـ (ديك الحق) يا بعيد الدار موشح للشاعر عباس بن الاحنف وللشيخ زكريا احمد مجموعه من الالحان شدت بها ام كلثوم في السهرات وللاسف الشديد لم تطبع على اسطوانات ولم تسجلها الاذاعه ايضا ومن بين تلك الاعمال يا قلبي ياما و ناسيه ودادي وجفياني ايه اسمي الحب و انا كنت احب الشكوي واكتب لي كتير و كل من يعشق يا عذابه وبين ذل الهوي وغيرهم من الاعمال النادره والتي لم نسعد نحن المستمعين لاعمال الشيخ زكريا احمد والسيده ام كلثوم..وبعدها بعشرات السنوات لحن لها أغنية أنساك التي نسبت إلي بليغ حمدي رغم اعتراف أم كلثوم بأنها من ألحان زكريا أحمد ودفعها المقابل المادي لها ويومها كتب صلاح جاهين تحت رسمه الكاريكاتوري في الأهرام تعليقا على قصة اللحن أنساك يا سلام يا بليغ دا كلام أهو ده اللي مش لحنك أبدا ولقد كانت كلمة هي السبب في الخلاف؟ وأبدا لم تكن مسألة حقوق ومستحقات.. فقد كان أهم ما يحرص عليه زكريا أحمد هو كرامته، ورغم مشواره المثمر مع ام كلثوم الذي بدأ بسرادقات الموالد وفترات الاستراحة في مسرح على الكسار لينتهي بها إلي دار الأوبرا إلا أنه اختلف معها بسبب كلمة.. و بل حرف.. حرف كان السبب في الخلاف والجفوة والقطيعة التي انتهت أمام القضاء ليدفع الشيخ كل ما يملك بل يستدين لينفق على قضيته التي بدأت بحرف.. أم كلثوم نادت الموسيقار الكبير الذي ظل يلحن لها عشرات السنين بلا انقطاع ليصنع بعصارة جهده وعرقه قمم مجدها.. نادته قائلة يا..... دون ذكر اسمه فاعتبر زكريا أن هذا اللفظ وهذه الطريقة إهانة بالغة له أمام الحاضرين وانصرف غاضبا.. ونسب اليها الجحود وهذا حقه وكان المعتذرين له كثيرين واسفوا ان ينسب لها الجحود، وأن سمع الإنسان قد يخطئ حتي ولو كان صاحب الأذن المرهفة زكريا أحمد. والي سيادتكم كما نشرت الصحف موضوع القضيه والجلسه – كانت الدائرة المدنية المنعقدة برئاسة الأستاذ عبدالغفار حسني وسكرتارية السيد محمد الرشيدي مناقشة السيدة أم كلثوم والملحن زكريا أحمد بشأن القضية التي رفعها ضدها وضد الإذاعة، وفي الموعد المحدد حضرت أم كلثوم وكانت ترتدي تاييرر رمادي بصفين زرارير وإيشارب أخضر وجوانتي أخضر وحذاء أسود وذلك في سيارة محاميها الأستاذ مختار قطب ودخلت من باب خاص بالمستشارين والقضاة.. واقتحم الجمهور قاعة الجلسة فاضطر القاضي إلي الاستنجاد بقوة بوليس المحكمة برئاسة الضابط إبراهيم شنن، وأخليت القاعة من الجماهير المتدفقة، واستمرت المناقشة خمس ساعات بذل القاضي فيها جهدا كبيرا انتهي بعقد اتفاق خاص بين الأطراف المتنازعة تفاهما فيه على التعاون المشترك لخدمة الفن، حيث يقوم الشيخ زكريا احمد بتلحين ثلاث أغنيات لأم كلثوم بمبلغ رصد في الاتفاق ٧٠٠ سبعمائة جنيه عن كل لحن بحيث يتم التلحين خلال عام١٩٦٠.. وكانت أول أغنية هو صحيح الهوي غلاب والثانية (انساك) أحب تاني ليه والثالثة لم تقدم ام كلثوم كلماتها لزكريا الذي قال قبل وفاته إنه لا يحب أن يدخل في دعوي جديدة مع أم كلثوم،. وعلى هذا تنازل زكريا احمد عن دعواه قبل أم كلثوم وأثبتت المحكمة هذا التنازل وقال زكريا احمد إنه ينظر إليها كسيدة مطربات الشرق، وقالت أم كلثوم إنها تقدر زكريا وترتاح إليه بالفعل ما هو رايك عزيزي المطالع عن تلك المشاكل الفنيه والتي دعت الزعيم جمال عبد الناصر ان يطالب ام كلثوم بضرورة الصلح وخاصة للا مه العربيه وبالطبع لمصر ومن اعمال الموسيقي والتي قدمها الشيخ زكريا احمد لغير ام كلثوم – عام ١٩٢٢ غني المطرب عبد اللطيف البنا ومن نظم يونس القاضي ودا كان لي فين – حزر فزر – كده برضه يخلص من الله (قبل ام كلثوم) – بلاش مناهده وطاوعيني – منين زعلانه وتحامي له غنت منيره المهديه من الحان الشيخ زكريا احمد ارخي الستاره اللي في ريحنا ليونس القاضي ومن تاليف بديع خيري الحلوه شافت صورتها و اربع خطاب واقفين غنت ماري جبران فرح فؤادي واتهنيت لاحمد الالفي عطيه غنت ناديره امين ومن خلال احداث فيلم انشودة الفؤاد امسعدي انت في مرادي للشاعر خليل مطران – انت الجمال لبديع خيري من كتر نسيانك لحسين حلمي المناسترلي والحبيب بعد الرضا لاحمد رامي وغنت نجاة على قد ايه انت واحشني للشاعر محمد على احمد غنت فتحيه احمد الكثير من اعماله الموسيقيه ومنهم بشراك يا قلبي للشاعر احمد الالفي عطيه – حمامه صدحت – شكوت اليك الجوي لصفي الدين الحلي – كل انسان للمؤلف احمد المرشدي – يا حلاوة الدنيا لبيرم التونسي – اضحي الثنا للشاعر بن زيدون – وتغني الشيخ امين حسنين طقطوقة اوعي تكلمني بابا جي ورايا للمؤلف عبد الحميد كامل – ياللي رج الدنيا صوتك – الشمس والنور والهوي – هانوني وقالوا نذله – يا هلال السماء وغنت ملك محمد انا سمكه وكانت في الميه وغني المطرب احمد عبد القادر من الحان الشيخ زكريا احمد طال عليه البعد – يا موج البحر وغنت المطربه رتيبه احمد الفؤاد مكوي بنارك و يا سمبتيك خالص ولا عجب عندما غني الفكاهي عزيز عثمان من نظم كامل الشناوي والحان الشيخ زكريا احمد قصيدة ما دمت انت بقربي وغنت امال حسين عيناكي للشاعر كامل الشناوي وغني المطرب اسماعيل شبانه العيون الخضر و شدوا القلوع لصالح جودت بديعه مصابني غنت من الحان الشيخ زكريا احمد البدر طلع غنوا له من نظم بديع خيري فايد محمد فايد غني اكلمك بصراحه تصفرللي وتخضر من نظم بديع خيري وغني محمد عبد المطلب اه من جمال العيون من نظم السيد زكري – سهرت بين الخمايل للشاعر صالح جودت وغني محمد قنديل اغني ومين يغني لي لبيرم التونسي ويا ويل عدو الدار لعباس حسن ١٩٥٦ وغنت ناديه فهمي يا عيد الفل من نظم بيرم التونسي وغنت فايزه احمد امرك يا مالكني من نظم احمد شفيق كامل – وشكوت اليك الجوي للشاعر صفي الدين الحلي وغنت ليلي مراد من موسيقي زكريا احمد ان كان فؤادي لاحمد رامي – حبيت وشفت كتير لحسن صبحي – يا فرحة قلبي معاك لعبد العزيز سلام – حوريه حسن غنت من الحانه كل اعمال اوبريت يوم القيامه مع كارم محمود غنت نجاة الصغيره ناداني الليل لمحمد على احمد غنت المطربه نازك انا والربيع يا جميله من نظم عبد الفتاح مصطفي ومن المطربين والمطربات والذين تغنوا بالحانه سعاد زكي – صباح ليلي حلمي – وسعاد محمد ومديحه عبد الحليم وعصمت عبد العليم ووروده وسيد مكاوي وصباح فخري واحمد سامي وغيرهم وكان زكريا احمد قد تزوج من السيده هانم محمود في ٢٠ اغسطس ١٩١٩ وانجب طفله اطلق عليها برلنتي في ١٤ سبتمبر/ ايلول ١٩٢٠ وتوفاها الله بعد شهور قليله وبعد ذلك رزقه الله بولد اسماه يعقوب واربع اناث اكبرهم كرامه والتي سعدت كثيرا في ندواتها الفنيه عن والدها في حياته الموسيقيه وظل في الساحه الفنيه وحتي انه شارك في ذكري الاربعين لوفاة حبيبه الروحي المؤلف بيرم التونسي وعندما ذهب لمنزله ليستريح من عناء وحزن تلك اليوم كانت الخاتمه الحياتيه وتوفي في ١٤ فبراير/ شباط ١٩٦١ رحمه الله.

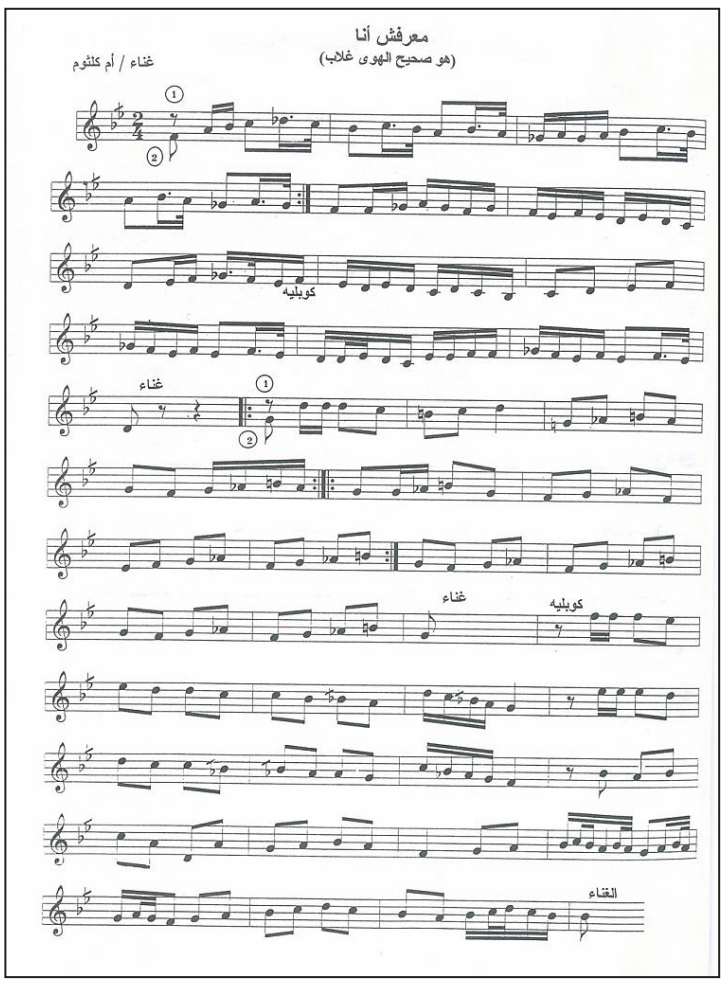

عن جريدة الاهرام/ شباط-٢٠٠٧

تاريخ شيخ الملحنين: ١٠٧٠ لحناً و٥٦ مسرحية غنائية

عادل الهاشمي

في ذكرى زكريا أحمد

شيخ.. وشعبي.. وصاحب مدرسة محافظة

انشغل زكريا أحمد في البدايات الأولى من حياته الفنية في لونين من الغناء والتلحين:

١- المسرحيات الغنائية
٢- الأغاني الشائعة برخصها: في تلك الفترة كان صوت ام كلثوم قد خطف مواهب هذا الفنان القدير الى صف الاغنية الفردية.. فأضحى زكريا احمد رائداً فذاً لذلك الضرب الكلاسيكي العربي المحافظ في مدرسة ام كلثوم الغنائية، على ان دور زكريا أحمد يكمن في انه قد جمل هذه الكلاسيكية بالحلاوة القائمة على خفة الظل وبمزاج رصين اخذ دقته من اصول الغناء العربي.. هذا المزاج جمع شيئين متناقضين.

أ- الابتكار في انطاق المعاني بصور يلفت غايتها من الدقة والحلاوة.
ب- دفاعه الراسخ والمعاند في بعض الاحيان.. عن الأصول الفنية المتوارثة..

برغم ظهور اساليب جديدة في التلحين على يد محمد عبد الوهاب ومحمد القصبجي وفريد الاطرش.
الطموح والحساسية يستوطنان عقل الموهوب زكريا احمد فتنخلق قدراته العجيبة آفاقاً من الحزن والشجن والشفافية والعاطفة الملهومة.. استخدم الفن الشعبي في مقاومة كل التهاويل اللجة التي ابتدعها غناء العصر الذي سبقه، لقد تذرت عبر فواصل زمنية موهبته في التلحين واخذت في النماء وباشرت عطاءاتها على نحو حميم ونشيط.. هذه الموهبة كانت ترمز الى الاحتفاظ بالايحاءات الايجابية في الحبور والعنفوان والرقة. ان زكريا احمد وهب الحياة الفنية في حقل الموسيقى والغناء الشيء الاكيد من الفعالية والقيمة التي تحيا بعيدا عن الرغبات المزورة الغامضة الملتوية المصروعة.

شيء عن البداية

لقد توهجت حياته بالصراع بين الحيازة المطلقة للفن وبين التقاليد الصارمة التي درجت عليها عائلته، الجوع والتشرد والعصيان ثمرات قاسية جافة لإصراره الحاد على الفن ان هذه القمعية التي مارستها ضده التقاليد العائلية لم تؤد الى افساد البساطة الروحية لديه ازاء الحياة، انما فجرت فيه ينابيع البهجة لانه انتصر في ان يأخذ موقعه في عالم الفن، كما انها طبعت اعماقه بالحزن.. لان هذا الانتصار أفسد صلاته بأبيه وأمه!
جاءت ألحانه غنية فيها افاضات صوفية تواشجت مع المحتوى الروحي.. لانه كان يعشق تلاوة الأذان فتشرب بفن التواشيح حيث تاثر بمنشدي التواشيح منهم استاذه درويش الحريري وتأثر ايضا بفن عبده الحامولي ومحمد عثمان وسلامة حجازي ويوسف المنيلاوي وعبد الحي حلمي. يحترف في عام ١٩١٧ التلحين ويقدم اغنية (ارخي الستارة) فيغنيها عبد اللطيف البنا ومنيرة المهدية ونعيمة المصرية وفتحية احمد وصالح عبد الحي. في سنة ١٩١٩ يندفع مشاركا بعواطفه لثورة ١٩ فيغني له عبد اللطيف البنا اناشيد منها (يا مصر دي ايام انسك) وغنى له زكي مراد (مصر اولادها رجال) و(نار الوطنية في القلب) ثم ينهض بمهمات وطنية فيحمل بعض الرسائل من ثوار القاهرة الى ثوار الاقاليم وبالعكس.

زكريا أحمد وعصر الطقطوقة

في جميع الحانه صاحب لون خاص مفرق في خصوصيته.. لا يقلد أحداً.. كما ان اي واحد لا يستطيع ان يقلده! لمع زكريا احمد في عصر الطقطوقة.. هذا العصر ولد في اعقاب الحرب العالمية الاولى.. فالقصيدة الشعرية ولدت عند العرب القدامى والدور سجل تأثره العجيب بالغناء التركي والموال في بغدادي نشأ في بغداد وترعرع في اجوائها الخلابة والموشح.. سجلته الاندلس كأحد ابتكاراتها "الفنية المشعة والمونولوج بنوعية جاء اقتباسا

عن الطريقة الغنائية في اليونان على وجه الخصوص والاوبرا والاوبريت فن نشأ في اوروبا.. اما الطقطوقة فهي لون من الغناء نشأ وازدهر وانتشر في مصر. وهي اغنية ذات مذهب واربعة او خمسة اغصان وتحديد ذلك يختلف بطبيعة الحال باختلاف اسلوب المغني في الالقاء.. أيُسرع ام يُبطئ او يكرر شطره ويردد حركة نغمية كما انه يختلف باختلاف حجم الاسطوانة المسجل عليها.. الا ان النظم جاء على هيئة نشيد او زجل نعماني.. اي له مطلع من شطرين.. والاغصان مربعات ذات ثلاث قوافٍ تتحد في الرؤيا والقافية، اما الرابعة فقافيتها تكون من جنس المطلع او المذهب، استخدم زكريا احمد في تلحين هذه الطقاطيق وزن الفالس فجعل لكل غصن منها نغمة خاصة.

طابع موسيقاه

حفظ زكريا احمد القرآن فاستقامت له وسلست موسيقى اللغة العربية.. ورتله فتمكن من روح اللحن العربي.. واضاف اداؤه للقصائد الدينية ذلك العمق الرحيب لأسرار الروح العربية الموسيقية.. ولما دخل ميدان التلحين كان له التمكن والاستعداد والقدرة فنبتت من قريحته الفنية الحان مطربة شجية وتطوع احساسه الموسيقى الفطري في جانب واسع من الحانه الى الملائمة الفذة بين روح الكلمات واللحن وامتزجت هذه كلها داخل السباق النغمي الفائق في الصنعة والدقة والاتقان.. الموسيقار زكريا احمد هو اقرب الملحنين العرب الى الروح الشعبية في صوت واسلوب ام كلثوم.. لعل معظم الحانه نابعة من لغة الايقاع المنتظمة في لهجة الناس.

فالبناء الايقاعي هو ثمرة من ثمرات الشرق وهو الموائمة بين ايقاع الكلام في (الالحان الغنائية وبين اللحن.. ذلك انه ساعد على خلق الموسيقى المحدودة الزمن الذي ادى الى نظام (المازورة) وهي مجموع الضربات التي تنتقل بين لحن وآخر! وليس سراً اذا قلنا ان هذا هو اهم تراث موسيقي قدمه العرب الى اوروبا اي (الموسيقى المحدودة الزمن).

في سباقه مع سيد درويش في مقام الزنجران وبعض المقامات الاخرى واتجاهات الغناء خفيفها وثقيلها لم يقصر زكريا احمد في براعته عن سيد درويش.. بل حاوره بالحان عميقة موحية غنية فيها جزم على تفرده وقدرته.. وما قيل عن انتهابه لألحان سيد درويش لا اساس له! لان امتدادات فن سيد درويش قد اثمرت وسرى اثمارها الى جهود كل الموسيقيين ابتداء من كامل الخلعي وابو العلا محمد وداود حسني وزكريا احمد ومحمد القصبجي ومحمد عبد الوهاب وفريد الاطرش ورياض السنباطي الى الجيل التالي من الملحنين، هؤلاء هم ابناء ظروف وبيئة اجتماعية وضعتهم التيارات الفنية في قلب عملية الخلق ليبرزوا جوهرها في اعمال اتخذت اساليب مختلفة ولابد ان تتخذ اساليب تتباعد في تفاصيلها.. لكنها تقترب من بنائها العام.

زكريا والمسرح الغنائي

ويقترب زكريا احمد من المسرح الغنائي ليمنحه عصارة موهبته، لقد صنع للمسرح مدهشات في الغناء العربي واذا ما قدر للمسرح الغنائي ان ينهض من جديد فان الحان زكريا احمد هي اول ما يرتديه هذا المسرح! ان خطوة زكريا احمد وقفت من الغناء المسرحي عند حدوده الاولية وهذا بالتاكيد لا يفسر لنا ضعفا او تراخيا في قريحة زكريا.. بل لان الموسيقى العربية قد استنفدت حدود الممكن في تعبيراتها المسرحية وصارت الحاجة ماسة تماما لاستيلاد عناصر جديدة للتعبير الدرامي بنوعية الفردي والجماعي مع دعامته الاساسية في الاوركسترا بكل تكويناته والوانه.

يمكن ان تقول ان المستوى الماثل نحو الانحطاط المجاني والسطحي عند زكريا احمد في بدايته الفنية تحول الى مستوى مهذب رقيق وحنون وخال من البهرجة ومتواضع ومنسجم.. انه مستوى فني مشرب بالحزن الذي تلتمع فيه يقظة مزينة بسيولة من المسرات! كانت دعامته الفردية الثابتة هي التي مكنت موحياته الداخلية من النمو والبروز في المجال الموسيقي.

لقد ادخل الارض والريف الى الاغنية وعبر عن السجو المليان الذي يريم على الطبيعة.. وصوّر ذلك الانصات الراجف للاشجار والغدران والاطيار مستخدما آلة الارغول في انغام زاخرة بالشجن العذب الرائق المفصح عن الامان الاسمى في كثافة روحية أخاذه.

ان فن زكريا احمد حمل معه شحنات من الطاقة النغمية الفريدة المعتقة بمذاق زمني غير محدد!

الزمن في حياة زكريا احمد شيء كبير، لانه سجل تطوره داخل تقاليد الغناء والموسيقى فهو لا يتموضع في قصته او حياته انما كان يجري في اعماله الخلاقة المبدعة.

عن مجلة الف باء/١٥/٢/١٩٧٨

في ذكرى زكريا احمد

شيخ .. وشعبي .. وصاحب مدرسة محافظة

تاريخ شيخ الملحنين: 1500 لحن و58 مسرحية غنائية

سـيد درويش في حياة زكريا أحمد

طارق هاشم

بين عباقرة الموسيقى والغناء العربي في القرن العشرين يبرز اسم الشيخ «زكريا أحمد» أحد أعمدة النهضة الفنية في مصر، والتي تحل ذكرى رحيله في الرابع عشر من شهر شباط ، إذ رحل الشيخ عن دنيانا في التاريخ نفسه من عام ١٩٦١، ليترك مقعده خاليا إلا من ذكرى حنين إلى زمنه زمن «زكريا أحمد» وموسيقاه الطالعة كغزال بري يتفقد حال محبيه، كثيرون منا تركوا أرواحهم تسبح خلف ألحانه بحثا عن سبيل يمحو جراحات طالما عششت معهم دون أمل في الشفاء، كثيرون منا استضافت ألحانه دموعنا بجوارح مؤرقة، وحده «زكريا أحمد» استطاع أن يمد روحه كطوق نجاة للعابرين على شوارع يجهلونها، وحده ووحدها ألحانه استطاعت أن تطرد الغيم وتستبدله بباقة من النرجس الآمن.

ابن فن

في السادس من يناير في عام ١٨٩٦ ولد الشيخ «زكريا أحمد» لأب يعشق الموسيقى والغناء هو «أحمد صقر، وأم من أصل تركي تهوي الغناء بأنواعه ولا سيما «التركي» هي السيدة «فاطمة» سر تسميته أي الابن ب«زكريا» يرجع الى حدث قديم يتعلق بالأم التي كانت كلما انجبت «بنتا» عاشت، بينما كان الذكور يموتون، لذا راحت هي وزوجها يسميان اطفالهما من الذكور بأسماء الأنبياء حتى رزقوا ب«زكريا» بعد واحد وعشرين طفلا ماتوا «راجع السبعة الكبار في الموسيقى العربية.. فيكتور سحاب.. دار العلم للملايين، طبعة أولي ١٩٨٧» كانت الأشهر الأولي في حياة الطفل «زكريا أحمد» مصحوبة بالقلق والشك خوفا من أن يلاقي نفس المصير أي يموت كأخوته السابقين، إلا أن هذا لم يحدث، عاش زكريا وأرسله الأب الى كُتاب الشيخ «نكلة» قرب منزله في حي الأزهر، إلا أن شقاوته حالت بينه وبين الاستمرار في الكتاب، إذ قام بعض الشيخ منصور شيخه في ذلك الحين، فطرد من الكتاب، بعدها انتقل الى الأزهر حيث قضي سبع سنوات إلا أن طباعه ظلت كما هي، إذ كان يقلب دبابيس عمته حتى إذا حاول الشيخ ضربه على العمامة دميت كفه، مما نتج عن طرده من الأزهر في الثالثة عشرة من عمره بسبب ضربه للشيخ، من يومها اسلم الصبي «زكريا» روحه الى الموالد والأذكار في السرادقات لسماع كبار المقرئين والشيوخ والمطربين، وبعد الأزهر أدخله والده مدرسة «ماهر باشا» في حي القلعة إلا أنه طرد في اليوم الأول لأنه لم يكف عن الغناء، ما دفع ناظر المدرسة أن ينعته ب«مجنون الغناء» وظل يضرب ويطرد من فصل الى آخر، ومن مدرسة الى أخري، على أن يكف عن الغناء ولكن دون جدوي «المرجع السابق.. صـ ٩٤» هكذا ظلت حياة «زكريا أحمد» تتبدل

وتنتقل من حال الى حال فعشق التسكع وهجر الجبة والقفطان وملابس المشيخة، مما أدي الى وقوع خصومة بينه وبين والده، فذهب الى أحد أقاربه، ومنه الى «طنطا» وذات مرة التقاه والده في الشارع فراح يقبله، إلا أن «زكريا» ظن أن هذه خديعة من الأب كي يعيده الى البيت، ففر هاربا الى أن دهسته سيارة فلم يفق إلا في بيت أبيه، بعدها حاول «زكريا» أن يقنع الأب بأنه لا يريد أن يدخل المدرسة بل يريد أن يعمل مقرئا فرفض الأب وطرد الأم التي كانت تعطف على ابنها «زكريا» وفارقت الأم الحياة وهي مطرودة، وتزوج الأب بغيرها فعرف «زكريا» نار زوجة الأب، كذلك حظر الأب جميع مساعدات أقاربه للصبي «زكريا» غير أن تدخل الكثيرين ساعد على إقناع الأب بأن مهنة المقرىء ليست عارا، بل هي مهنة وقار واحترام، من يومها وحياة «زكريا أحمد» عرفت طعما جديدا إذا اقتحم المنتديات واقترب من عالمها الرحب.

في صحبة الشيخ «درويش الحريري»

في ندوة «صالح باشا ثابت» كان «عبد الحي حلمي» والشيخ «يوسف المنيلاوي» و« محمد سالم العجوز» والمطرب «أحمد صابر» والشيخ «عبدالرحيم المسلوب» والشيخ «أبو العلا محمد» كواكب مضيئة في كل جلسة، وانضم إليهم «زكريا أحمد» بعدها عهد أبوه الى الشيخ «درويش الحريري» في تعليمه وتحفيظه القرآن الكريم، لازم «زكريا» الشيخ الحريري عشر سنوات، لقد كان «درويش الحريري» جامعة فنية ما أن ارتبط به أحد من محبي الموسيقى والغناء إلا وعلا شأنه في هذا المجال، وتحولت العلاقة ما بين «زكريا أحمد» والشيخ «الحريري» الى علاقة نسب إذ تزوج الشيخ «زكريا» شقيقة زوجته في ٢٠ أغسطس من عام ١٩١٩، وقتها دفعه «درويش الحريري» الى الغناء في بطانة الشيخ «سيد محمود» خادم السيرة النبوية، إلا أنه لم يلتزم بها سوي أشهر قليلة «أنظر السبعة الكبار في الموسيقى العربية.. فيكتور سحاب» عاد «زكريا» مرة اخرى الى فرقة الحريري، ومنها انتقل على يد «الحريري» ذاته الى بطانة الشيخ «على محمود» ويعتبر الشيخ «على محمود» المولود بالقاهرة في عام ١٨٧٨ من أعمدة الإنشاد الديني ليس في مصر فحسب، بل في العالم العربي، كما كان من أهل العلم بالقراءات العشر، إضافة الى أنه درس الفقه على يد الشيخ «عبدالقادر المازني» راجع «مشايخ في محراب الفن.. د.خيري محمد عامر.. الهيئة العامة لقصور الثقافة، طبعة أولى ٢٠٠٦ سلسلة إصدارات خاصة».

تعلم «زكريا أحمد» على يد الشيخ «على محمود» أن يؤدي الأذان فجرا كل يوم على نغمة مختلفة، كما تعلم منه أيضا التجويد والسيرة والتواشيح، إذ كان الشيخ «على محمود» من تلاميذ الشيخ «عبدالرحيم المسلوب» و «عثمان الموصلي» عالم الموشحات التركية والشامية، ولا يخفي على أحد أن بطانة الشيخ «على محمود» كانت من أشهر البطانات في ذلك الوقت، ومن بطانة الشيخ «على محمود» انتقل الشيخ «زكريا أحمد» الى فرقة الشيخ «إسماعيل سكر» للقراءة والإنشاد، وساعتها انتشر صيته في القاهرة والأقاليم حتى استدعاه السلطان «محمد رشاد» الى الأستانة لإحياء إحدى الحفلات الكبيرة، وأنعم عليه بالنياشين، وكان الفضل في ذلك للشيخ «إسماعيل سكر» معلمه الثاني بعد الأول «درويش الحريري» ومعلمه وعديله في ذات الوقت «راجع سحاب».

سيد درويش في حياة زكريا أحمد

كان لكل من الشيخ «سيد درويش» و«أم كلثوم» الأثر الأكبر في حياة الشيخ «زكريا أحمد» إذ التقي بالشيخ «سيد درويش» في العشرين من عمره في الثالث من يناير من عام ١٩١٦ «أنظر السبعة الكبار في الموسيقى العربية» وقتها اشتري «زكريا أحمد» تذكرتي سفر بالقطار الى القاهرة له واحدة وللشيخ «سيد درويش » واحدة إلا أن الشيخ «سيد درويش» لم يتمكن من السفر معه بسبب غضبه من مسرح «محمد عمر» لأنهم أعطوه خمسة عشر جنيها ذهبا أجر الليلة، بينما تقاضي المطرب «صالح عبدالحي» مائة جنيه، ما دفع الأول الى العودة للغناء في مقهاه الشعبي بالأسكندرية بخمسة وسبعين قرشا في الليلة «المرجع نفسه» ولم ييأس «زكريا أحمد» فأعاد الشيخ «سيد درويش» الى القاهرة وتكررت لقاءاتهما في فبراير ١٩١٦ ثم في ٣١ أغسطس ١٩١٨ وكذلك تضاعفت لقاءاتهما في عام ١٩٢١، وبحسب «فيكتور سحاب» على لسان الشيخ «يونس القاضي» في «مجلة المسرح» من عام ١٩٢٦ ذكر القاضي أن زكريا أحمد قد عمل في فرقة سيد درويش الذي طلب منه أن يحل مكانه في مسرحية «البروكة» في دور «زعبلة» حتى يتعافي الشيخ سيد درويش من جراحة طبية أجريت له إلا أن الدور آل في النهاية الى «محمد عبدالوهاب» في المسرحية ذاتها، لم تقف علاقة الشيخ زكريا ب «سيد درويش» عند هذا الحد، بل امتد الأمر الى الإعجاب الشديد من طرف زكريا بالشيخ سيد درويش لدرجة دفعته الى التأثر بموسيقاه وألحانه ولا سيما تأثره بتلحينه الروايات المسرحية والغنائية على حد قول «سحاب» لذا كان من الطبيعي أن يرث الشيخ زكريا زعامة المسرح الغنائي عقب رحيل سيد درويش في مارس من عام ١٩٢٣، كذلك ورث الشيخ زكريا عن الشيخ سيد صداقته للشاعر الكبير «بيرم التونسي» الذي كون مع زكريا ثنائيا غنائيا من أهم الثنائيات في تاريخ الأغنية المصرية والعربية، ولعل هذه العلاقة الحميمة نتج عنها فنا كبيرا أعني علاقة زكريا أحمد بالشيخ سيد درويش، إلا أنها كانت لها نتائج اخرى سيئة فعقب وفاة الشيخ سيد درويش حاول خصوم زكريا اتهامه بسرقة ألحان الشيخ سيد وتراثه حتى أن الشيخ «يونس القاضي» الشاعر المعروف آنذاك قد شن على الشيخ زكريا حملة كبيرة في مجلة« المسرح» كما اشترك في هذه الحملة «محمد البحر» نجل الشيخ سيد درويش ويذكر «فيكتور سحاب» ذلك مدللا على بعض الألحان ومنها أغنية «البرنيطة» لمطربة القطرين آنذاك «فتحية أحمد» ويختار من «البرنيطة» جملة «أدي وقت البرنيطة» ويرجعها الى جملة «شوف بختك في مراتك» من أغنية « الشيطان»، كذلك يشير الى لحن طقطوقة «إرخي الستارة اللي في ريحنا» وهي من ألحان الشيخ زكريا أحمد ويرجعها الى لحن «الفن حمدين» للشيخ سيد درويش كذلك أغنية «تركي أفندي» للشيخ «زكريا أحمد» وعلاقتها بأغنية «مصطفاكي بزياراكي» للشيخ سيد درويش، ويؤكد «سحاب» على أن الشيخ «يونس القاضي» هو محرك الحملة لسبب غير معلوم، كما يشير الى الغيرة المرضية ل«محمد البحر» على ألحان والده، والتي جعلته يحول دون عمل الموسيقيين في إحياء تراث الأب سيد درويش حتى الخامس عشر من سبتمبر من عام ١٩٧٣، ذكري مرور خمسين عاما على وفاته – أي سيد درويش– وهو التاريخ الفاصل بحسب القانون المصري في اسقاط الحق عن الورثة، وبذلك أصبح فن «سيد درويش» ملكا عاما ليس من حق أي شخص أن يحتكره، لم يسكت «زكريا أحمد» على حضرة الحملة بل راح يتحدى متهميه أن ينشروا على الناس تدوين الألحان المسروقة دون أي استجابة منهم.

زكريا أحمد ولقاؤه ب«أم كلثوم»

في قرية «السنبلاوين» القريبة من قرية «طماي الزهايرة» محل ميلاد كوكب الشرق «أم كثلوم» التقي بها الشيخ «زكريا أحمد» في الثاني من يونيو في عام ١٩١٩، وساعتها غنت له هي وأخيها الشيخ «خالد» كما زارها الشيخ زكريا في العاشر من الشهر ذاته بحسب يوميات الشيخ «زكريا أحمد» التي أشار إليها «فيكتور سحاب» في

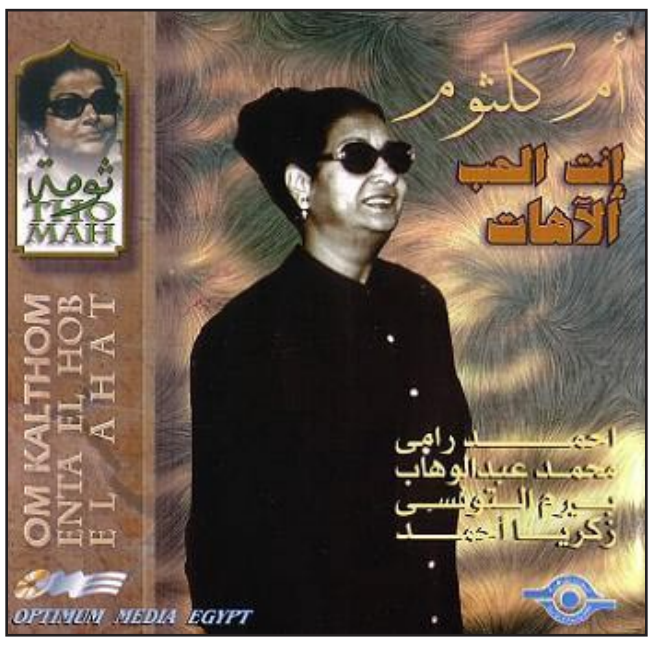

كتابه «السبعة الكبار في الموسيقى العربية» أهدي الشيخ زكريا الى «أم كلثوم» طقطوقة وموشحا في «طماي الزهايرة»، ثم دعاها الى القاهرة وفي سهرة جمعت بين أم كلثوم و«محمد القصبجي» و«أحمد صبري النجريدي» والشيخ «أبو العلا محمد» صاحب الفضل الأول على «أم كلثوم» والشيخ «زكريا أحمد» وقعت «أم كلثوم» اتفاقا لفرقة «على الكسار» لتغني بين فصول رواياته أغنيات الشيخ «أبو العلا محمد» و«أحمد صبري النجريدي» و«محمد القصبجي» من يومها وزكريا أحمد قد وطد علاقته بصوت أم كلثوم ويذكر «زكريا أحمد» في يومياته «منذ تلك الليلة وأنا أصم لا أسمع إلا صوتها، أبكم لا أتحدث إلا باسمها، فقد أصبحت مفتونا بها، لأنني أحببتها حب الفنان للحن الخالد، تمني العثور عليه دهرا طويلا» ومنذ التقاء الشيخ «زكريا أحمد» ب«أم كلثوم» تغيرت الأغنية تغيرا ملحوظا على إيديهما قد قدم الشيخ زكريا لها على مدار ما يقرب من ثلاثين عاما منذ لقاؤهما حتى انتهائهما من فيلم «فاطمة» سنة ١٩٤٨ ما يقرب من «٥٥» أغنية، هذا بخلاف أغنياته معها في أفلامها السينمائية «فاطمة، وداد، عايدة، سلامة» وقد لا تنجو هذه التواريخ من أخطاء إلا أننا اعتمدنا في تدوينها على الجدول الذي أورده «فيكتور سحاب» في كتابه، علما بأن هذا الجدو ورد أولا في كتاب (النصوص الكاملة لأغاني «أم كلثوم» ل«محمود كامل» و«خليل المصري» اللجنة الموسيقية العليا).

زكريا أحمد يرفع دعوي قضائية ضد أم كلثوم والإذاعة المصرية

يذكر «كمال سعد» في كتابه «أم كلثوم وزكريا أحمد أمام القضاء» والذي اعتمد بشكل أساسي على أوراق القضية وملفاتها أنه حاول أن يعرف سر الخصومة ما بين «أم كلثوم» و«زكريا أحمد» وبسؤاله ل«رؤوف محمد مختار قطب» ابن «محمد مختار قطب» محامي «أم كلثوم» ذكر له «رؤوف» أن أهم ما جاء في عريضة الدعوي التي استند عليها «زكريا أحمد» في قضيته ضد أم كلثوم أن الشيخ «زكريا» كان يطالب بنصيبه في حق الأداء العلني عن غناء السيدة «أم كلثوم» لأغنية «الأهات» وغيرها في حفلات الإذاعة، وكان يستند في ذلك الى أمرين أولهما إذاعة الأغنيات بدون إذنه، إضافة الى عدم حصوله على حق الأداء العلني المترتب على إذاعة أغنية «الأهات» بالذات، ويذكر «رؤوف» نجل «محمد مختار قطب» أن «أم كلثوم» استقبلت عريضة الدعوي بغضب شديد كما أورد ذلك الكاتب «كمال سعد.. أم كلثوم وزكريا أحمد أمام القضاء.. دار الشعب» ظلت القضية في المحاكم ما يزيد على سبع سنوات افتقد فيها عشاق فن «أم كلثوم» و«زكريا أحمد» الى أن تم الصلح بينهما في عام ١٩٦٠ حيث عادا معا «أم كلثوم - زكريا» بأغنية «هو صحيح الهوي غلاب» من كلمات الشاعر «بيرم التونسي» والتي كانت آخر أغنيات «زكريا» مع «أم كلثوم» وهي من الطقاطيق المهمة في سيرتها الغنائية وفي سيرة «زكريا» نفسه وبهذا انتهي الخلاف الذي حرم الجماهير من نجمين لامعين في سماء الغناء المصري والعربي الشيخ «زكريا» ودوره في المسرح الغنائي.

من الصعب الحديث عن المسرح الغنائي دون التعرض لتجربة «زكريا أحمد» وأهميتها، لقد أشرنا الى التأثر الذي وقع فيه «زكريا أحمد» نظرا لارتباطه بالشيخ «سيد دروش» ولا سيما التأثر به في تلحين الروايات والمسرحيات الغنائية، وبالفعل ورث «زكريا أحمد» زعامة المسرح الغنائي عن الراحل العظيم «سيد درويش» فقدم «زكريا» للمسرح الغنائي ألحان ما يزيد على ٥٢ مسرحية منها ثلاثون مسرحية لفرقة «على الكسار» نذكر منها «الغول ٢٩/١/١٩٢٤، دولة الحظ ١٦/١٢/١٩٢٤، ناظر الزراعة ١٨/٣/١٩٢٥، عثمان هيخش دنيا ١٦/٦/١٩٢٥، الطمبورة ١٢/١٠/١٩٢٥، ٢٨ يوم ١٣/١/١٩٢٦» وغيرها من المسرحيات إضافة الى ألحانه لمسرحيات اخرى مع «زكي عكاشة، منيرة المهدية، عزيز عيد، نجيب الريحاني، صالح عبدالحي، يوسف وهبي، الفرقة القومية، المعهد العالى للموسيقي» ليكون أحد الأركان المهمة في النهوض بالمسرح الغنائي بعد الراحل «سيد درويش».

فضل الشيخ زكريا على السينما الغنائية

لا يمكن الإشارة الى السينما الغنائية دون الرجوع الى أهمية تجربة زكريا أحمد في هذا المجال، إذ قدم «زكريا» وشارك في تلحين ٣٧ فيلما تضمنت إحدي وتسعين أغنية من ألحانه بحسب «فيكتور سحاب» ويجدر بالذكر أن أول فيلم غنائي مصري «إنشودة الفؤاد» ١٩٣٢ كانت الأغنيات التي غنتها المطربة «نادرة» من ألحان «زكريا أحمد» إضافة الى أفلام اخرى نذكر منها «بسلامته عايز يجوز ١٩٣٥، وداد ١٩٣٥-١٩٣٦، نشيد الأمل، ليلي بنت الريف، دنانير، عايدة، ليلي بنت الفقراء» وغيرها من الأفلام التي اعتمدت على سياقها على الغناء كخلفية رئيسية للفيلم).

الشيخ زكريا أحمد أحد أعمدة تطوير الطقطوقة والدور، نجح الشيخ زكريا أحمد في تطوير الطقطوقة و«الدور» في الغناء العربي ومن الطقاطيق التي شهدت بهذا التطور ل«زكريا أحمد» «اللي حبك ياهناه ١٩٣١، جمالك ربنا يزيده ١٩٣١، ناسية ووادي وجافياني، مالك يا قلبي حزين» وغيرها من الطقاطيق التي استطاع «زكريا أحمد» من خلالها أن يغير من الشكل التقليدي للطقطوقة ذات الأغصان المتشابهة لتصبح ذات أغصان مختلفة، بحيث تختلف جملة لحن في غصن من أغصانها، إن تجربة الشيخ «زكريا أحمد» ثرية وفريدة وغزيرة، إذ يعتبر من أغزر الموسيقيين من حيث الإنتاج إذ تجاوزت ألحانه الألف وسبعين لحنا، ونحن في ذاكره التاسعة والأربعين نتذكر ما قدمه لفن الموسيقى والغناء من علامات مهمة حاولنا أن نرصدها أو نتحدث عن أهميتها، لم نوفها جزءاً من حقها، لقد رحل «زكريا أحمد» في الرابع عشر من فبراير/ شباط من العام ١٩٦١ تاركا مقعده خاليا إلا من روح موسيقاه التي لم ولن ترحل.

زكريا احمد وعمالقة الغناء المصري

.د. سيّار الجَميل
باحث ومؤرخ

مقدمة : ريادة التجديد

عاشت مصر على مدى مائة عام من ١٨٦٩ إلى ١٩٦٧ ذروة الإبداع الموسيقى والغنائي وعلى أيدي عمالقة من الفنانين خلقتهم بيئة وظروف وعوامل أساسية منذ عهد الخديوي إسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩ وصولا إلى عهد الرئيس جمال عبدالناصر ١٩٥٣- ١٩٧٠ كانت الفنون من قبل في حالة تقليدية كانت مألوفة ومتكررة.. ومع ولادة عهد محمد على باشا في ١٨٠٥ بدأت معالم التغيير تطرأ على مصر، وخصوصا بعد انفتاحها على الثقافات الأخرى، ومع وصول الخديوي إسماعيل إلى سدة الحكم، بدأ التجديد على يديه بخلقه جملة هائلة من الحوافز وعنايته بالأوبرا، وبنائه لدار الأوبرا المصرية القديمة في قلب القاهرة من اجل أن تعزف فيها أوبرا عايدة.. هكذا بدأ انفتاح مصر على كل العالم، وإنفاق المال على المبدعين وموسيقى القصر واندماج الألحان العربية بالتركية بدعوة الموسيقيين والمطربين وانتشار الطقاطيق وتجديدات في الغناء بدأها الفنان عبده الحامولي ١٨٤٧- ١٩٠١ الذي اعتمده القصر برفقة الفنان السوري أنطون الشوا، ودخول الكمان إلى التخت المصري لأول مرة، ثم لحقه ابنه الفنان سامي الشوا الذي اشتهر شهرة عريضة بتقاسيمه على الكمان، واستمر الشوا في إبداعه حتى الثلاثينيات من القرن العشرين. لقد مر النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفرص التجديد كبيرة وممكنة بانفتاح مصر واستعداد المجتمع للتغيير، وتقبله لذلك من خلال طبيعة سلسة ومنفتحة من دون أية تعقيدات، ولا أية مشكلات، ولا أية حواجز دينية أو سياسية..

المؤسسون الاوائل

ويعد الفنان الحامولي رائدا للتجديد، المولود بطنطا عام ١٨٤٥، وكان لهذه المدينة الهادئة دورها في تقديم مبدعين كبار من أبنائها، ساعدها موقعها، وكثرة شيوخها والمنشدين المجودين فيها.. اشتهر الحامولي وانطلق نحو القصر الذي احتضنه، وأرسله الخديوي إلى إستانبول ليغنى أمام السلطان عبدالحميد الثاني، كما جدد الرجل مواهبه وتعلم عدة مقامات وإيقاعات أدخلها على غنائه.. فكان أن وصل إلى درجة عالية في كل من التجديد والشهرة والمنزلة الرفيعة، وكانت التقاليد المتحضرة قد بدأت في القاهرة، بانطلاق الحفلات العامة من حديقة الأزبكية والتي سطع نجم الفنان سلامة حجازي ١٨٥٢ - ١٩١٧ من خلالها، وعرف التخت مكانه على المسرح الذي اعتلاه هذا الفنان، فتحول الفن على يديه من صالات القصور إلى حدائق الدولة، أي من أبهة الملك إلى مسارح الشعب، وكان أشهرها مسرح سانتى في حدائق الأزبكية.. كانت انطلاقة الأدوار بعد أن تم التخلي عن الدوبيت، وبعد أن أصبح الفنان في فرقة، أسس سلامة فرقته عام ١٨٨٨ ليبدأ زمن المسرح الغنائي منذ ذلك الزمن، وما أن يفتتح القرن الجديد أيامه حتى يكاد التخت يتراجع إزاء ولادة الفرق الموسيقية العادية أو الأوركسترالية.. لم يقتصر أمر التجديد على الدراما، بل انتقل إلى إبداع الألحان بعد الخروج من عباءات التقاليد لترديد التواشيح والطقاطيق.. بدأت الألحان تنطلق باستخدام آلات موسيقية جديدة، واختص الشيخ سلامة بتلحين الأناشيد والمارشات الخديوية، وعدّ الأب الروحي للفنان سيد درويش، وانطلقت المرأة لتشخص بهيئتها على المسرح أمام الناس، فكان ذلك مدعاة للاعتزاز بدور المرأة الفني، ولأول مرة برزت الفنانة منيرة المهدية ١٨٨٥ - ١٩٦٥ تقف لتغنى على خشبة المسرح وتشترك مع فنانين رجال في أداء الروايات المغناة، كما قامت بتأسيس ملهى في حي الأزبكية، أخذ يقصده المثقفون من أدباء وشعراء وساسة.

١٩١٧ : النقطة الفارقة والفاصلة

لقد أثمر التجديد في نصف قرن إنجازات

فريد الاطرش

رائعة تمثلت بكل من الجيل المؤسس الذي قاده كل من الحامولي وسلامة حجازي والشيخ يوسف خفاجي المنيلاوى والشيخ أبو العلا محمد وعزيز عيد ومنيرة المهدية وسيد درويش.. وعنده تختتم مرحلة تأسيسية خصبة لتبدأ مرحلة جديدة تتطور كثيرا على أيدي مؤسسين من نوع آخر ومن خلال عشرات المبدعين نسوة ورجالا. أعتقد أن العام ١٩١٧ كان حدا فاصلا بين مرحلتين من تطور مصر بانتقالها في هذا العام عبر سلسلة القرن التاسع عشر من ولاية باشوية إلى خديوية إلى سلطنة إلى مملكة، أي على امتداد مخاض سياسي وحضاري فيه أعلى درجات النهضة عام ١٨٦٩ عند افتتاح قناة السويس وبين احتلالين فرنسي عند نهاية القرن الثامن عشر وبريطاني عند نهايات القرن التاسع عشر.. لقد اعتلى فؤاد الأول العرش عام ١٩١٧ الذي شهد تحولات كبرى في العالم، وبين مخاض الحرب الأولى وبين عام ١٩٦٧ خمسون عاما شهدت مصر فيها مختلف البدائل والتجديدات عبر مخاض صعب جدا من المتغيرات، لقد استمرت مصر في كل من عهدي الملكين فؤاد الأول وولده فاروق الأول تنضج نهضتها الموسيقية والغنائية بتبلور مبدعين عمالقة في كل من التلحين والغناء، وترافق ذلك مع الفرص التي منحها التطور التكنولوجي بذيوع شركات الأسطوانات والجرامافونات، فاعتمدت الطقطوقة والأدوار القصيرة في التسجيل.. كانت منيرة المهدية سلطانة الطرب المصري عهد ذاك، ومنحت الفرصة أمام النخبة المصرية من المثقفين المصريين الكبار لأصحاب المواهب من الشباب أن ينطلقوا على مسرحها، فكان أن ظهر على خشبته محمد عبد الوهاب الذي سيكون له شأن كبير على امتداد القرن العشرين وخصوصا في الخمسين سنة المعنية باعتلائه صهوة التجديد في الغناء العربي وصولة التغيير في الموسيقى العربية، بظهور الأوبريت الغنائي متأثرين بأوروبا وتراثها الموسيقى.

زمن العمالقة : ذروة الإبداعات الجميلة

تبلورت نخبة جديدة من المبدعين المتميزين في التجديد، وقف على رأسها الفنان سيد درويش ١٨٩٢ - ١٩٢٣ الذي لقب بفنان الشعب، كونه أنزل الفن من عليائه إلى الناس ليتحدث به معبرا عن مشاعرهم ومطالبهم ووطنيتهم وبأوركسترالية عالية، كان يؤدى سيد درويش أعماله الجميلة، ويكفيه فخرا أنه صاحب النشيد الوطني الخالد «بلادي بلادى» ولكن القدر لم يمهله طويلا ليغنى الحياة إبداعا فرحل مبكرا! كان سيد درويش الذي اشتهر كونه فنان الشعب قد تأثر بموسيقار العراق الشهير الملا عثمان الموصلي الذي التقاه في بلاد الشام، وعاش الموسيقار الموصلي الضرير في مصر حينا، ووهب بعض ألحانه الرائعة للمصريين. وظهر أيضا داوود حسنى ١٨٧٠ - ١٩٣٧ وكان له أثره أيضا بالاشتراك مع محمد كامل الخلعي ١٨٨١ - ١٩٣١، وكان هذا الأخير أستاذا للقصبجي، وواصلت المرأة طريقها بظهور الفنانة بديعة مصابنى التي أثرت الحياة الفنية إثراء كبيرا وتخرج في مدرستها العديد من الفنانين والفنانات. في هذه المرحلة، أصبح فن مدرسة عبده الحامولي قديما منسيا، ببروز عظماء الملحنين الشيوخ، وهم: صالح عبدالحى وزكريا أحمد ومحمد القصبجى، الذين نقلوا الموسيقى وحركاتها إلى فضاءات جديدة، فإن كان عبدالحى قد أبقى على أساليب المدرسة القديمة في غناء الأدوار بمذاهبها وأغصانها، فقد مزج زكريا أحمد الروح القديمة بأنفاس جديدة ضمن مدرسة خاصة به تميّز بها بجدارة، ولكن الموسيقار القصبجى برز الاثنين بانتقالات بارعة منتقلا بالموسيقى العربية إلى حركات أوبرالية جديدة ضمن الفضاء الشرقي وقد استفاد جدا من موسيقى العالم لإثراء الظاهرة المصرية والعربية بجملة رائعة من الألحان الخالدة.. وتنطلق الأغنية من عقال الطقطوقة وأصول الأدوار التقليدية نهائيا بظهور كل من الفنانين اللامعين المجددين : محمد عبدالوهاب (الذي سيحمل لقب موسيقار الأجيال) وأم كلثوم، التي حملت لقب كوكب الشرق منذ زمن بعيد، وبرز أيضا بعض المتميزين من المطربين والمطربات، أمثال : فتحية أحمد ونجاة علي ومحمد عبدالمطلب.. وبالرغم من بقاء الأخير في إطار الموروث في حالة جديدة.. لتغدو

منيرة المهدية

متميزون آخرون

ويلحق بهذا التطور كل من الفنان منير مراد وابنته الفنانة ليلى مراد بالحان الاب وصوت وأداء الابنة، ثم انطلقت شهرة الفنان فريد الأطرش الذي سيتميز بمدرسته الخاصة (ويشتهر موسيقارا بألحانه الجميلة، ويكفيه أن لحنه الخالد " دقوا المزاهر " يدق في الآف الأعراس يوميا) وذاع صيت أخته الفنانة أسمهان (التي تميزت بأوبرايتها وطربها الرائعين معا)، وأيضا الفنان المتميّز بألحانه الرائعة رياض السنباطى لتعلو مكانة كل من الموسيقى والغناء العربيين إبان الأربعينيات وتغدوان في الذروة، إذ يختص كل فنان بأسلوبه ومريديه وعشاقه وعالمه وفضائه وحفلاته.. ومع تطور كل أعمال هؤلاء العمالقة مع الزمن على عهد الملك فاروق

كارم محمود

الأول، كانت الألحان قد تطورت ودخلت العديد من الآلات الموسيقية الغربية مثل التانجو والسامبا، والباص، والكونترباص والشيللو والفيولينة والكاستانيت والبيانو، ويظهر مجددا آخر في التلحين والغناء ممثلا بالفنان محمد فوزي الذي اتخذ له أسلوبا مبدعا جديدا، وشاركته كل من أختيه الفنانتين هدى سلطان وهند علام.. لقد اصبحت مصر ابان ذلك الزمن الجميل قبلة للفن العربي مع انتشار الراديو والسينما معا، فكان أن وصل من لبنان كل من الفنانتين القديرتين نور الهدى وسعاد محمد إلى القاهرة في ماراثون رائع من التطور، والحقيقة، إن استقطاب القاهرة للفنانين والفنانات من بيئات عربية معينة كان بسبب نضوج السينما المصرية، وسرعة انتشار الأفلام المصرية في العالم العربي، إذ ما لبثت الساحة المصرية أن استقطبت كلا من الفنانتين المبدعتين صباح وفايزة أحمد.. ثم تدخل على الخط الفنانات الرائعات: سعاد مكاوي وشادية وشهرزاد ونجاح سلام ونازك ورجاء عبده وثريا حلمي وكروان وعائشة حسن وحورية حسن وشافية أحمد وسلوى فهمي وأحلام.

الساحة المزدحمة بالمبدعين

لقد ازدحمت الساحة بعد ذلك بعدد من الفنانين الموهوبين الرائعين الذين تسابقوا فيما

بديعة مصابني

بينهم لتقديم الأحسن والأجمل في الحفلات الإذاعية وفى السينما والحفلات العامة والمناسبات والتي كانت تلاقى تجاوبا واسع النطاق من كل صنوف الناس، وامتدت إلى بيئات اجتماعية عدة من العالم العربي، فكان الفنانون الذين تميّزوا واشتهروا كل واحد بأسلوبه وصوته وطريقته، ومن أشهرهم : كارم محمود وعبدالعزيز محمود ومحمد الكحلاوى (ذو المسحة الشعبية) وعبدالغنى السيد وإسماعيل شبانة، ثم التحق بالركب كل من الفنانين عبدالحليم حافظ (ذي الشهرة الجماهيرية الواسعة بين الشباب) ومحرم فؤاد ونجاة الصغيرة وفايدة كامل ووردة الجزائرية، ثم شريفة فاضل ومها صبري وعبداللطيف التلباني وماهر العطار ومحمد قنديل وعادل مأمون ومحمد رشدي وإبراهيم حمودة وعباس البليدى وشكوكو وأحمد غانم وشفيق جلال وشريفة ماهر ومحمد العزبي ومحمد طه وعصمت عبدالعليم وكامل أحمد على وغيرهم.

لقد حظي الفنانون بشعراء رائعين من الزجالين والشعراء والقوالين الذين نبغوا في كتابة نصوص رائعة، بدءا بأحمد شوقي وعلى الجارم وأحمد رامي وبيرم التونسى، وانتهاء بقائمة طويلة من أصحاب الكلمات الجميلة الرشيقة التي طافت في كل المحيط العربي بالتعابير الغزلية والقصائد الدينية والأغنيات العاطفية والمقولات الاجتماعية

عبده الحمولي

عبدالعزيز محمود

سيد درويش

وآهات الحب وضرام المشاعر والعذاب والأمل والغرام.. كما أن المطربين حظوا بعدد من الفنانين الملحنين الموهوبين الذين قدموا أروع الأعمال، ومنهم محمد الشريف ومحمد الموجى وكمال الطويل وبليغ حمدي وسيد مكاوي وفؤاد حلمي وسعيد عزت وعلى فراج ومحمد الحفناوي، وقائمة طويلة من أسماء لا تحضرني الآن.

وأخيرا : الظاهرة التاريخية

لقد رحلت مائة سنة من حياة النهضة الفنية المصرية التي أثرت الثقافة العربية الحديثة ثراء رائعا ووصلت إلى أوج ذروتها في كل من الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي ورحلت مع عام ١٩٦٧ ولم تعد بكل شخوصها من عمالقة وموهوبين، وكان أن تركت من ورائها تأثيرات واسعة جدا، لم يواصل النهج نفسه، إلا قلة من المبدعين الذين لم يسعفهم الزمن بهجمة التراجعية وفوضى القيم وانحسار الأذواق وهي مرحلة صعبة لم نزل نعاني منها.. إن ابرز الأسماء من الفنانين اللامعين الذين تأثروا بتلك الظاهرة الحضارية التجديدية الموسيقية والغنائية المصرية التي دامت مائة سنة وقد جاءوا من بعدها كل من الفنانين المصريين : هاني شاكر ولبلبة وعمر إبراهيم خيرت وصلاح عرام وعمار الشريعي ومحمد ثروت وياسمين الخيام.... ومن الفنانين العرب المتميزين : عوض دوخي وعبد الهادي بلخياط وميادة الحناوي وجورج وسوف ولطفي بوشناق ولطيفة وذكرى وأصالة نصري وصابر الرباعي وكاظم الساهر.. وغيرهم. لقد تفوق الفنان الأستاذ صباح فخري في إعادة أداء الأدوار المصرية والموشحات القديمة بشكل لا يضاهيه أحد، ولكنني اعتقد أن الفنانة المعاصرة الوحيدة التي تجيد العمل اليوم، بإحياء كل الموروث ألطربي والغنائي المصري بكل فواصله ونماذج مراحله هي الفنانة المغربية المقتدرة السيدة كريمة الصقلي التي أجادت بأعمالها المعاصرة المتميزة أداء أنواع عدة من أصناف ذلك الغناء المتنوع بدءا بالأدوار والموشحات والقصائد الطويلة والأغنيات الخفيفة والاوبرالية.. نأمل أن تكون حافزا لأجيال قادمة كي يتعلموا من تلك الظاهرة التاريخية الفريدة في تاريخنا الحضاري.

عن مجلة روز اليوسف
آذار/ ٢٠١٠

كتاب يضع شيخ الملحنين زكريا أحمد في مكان الريادة والعبقرية

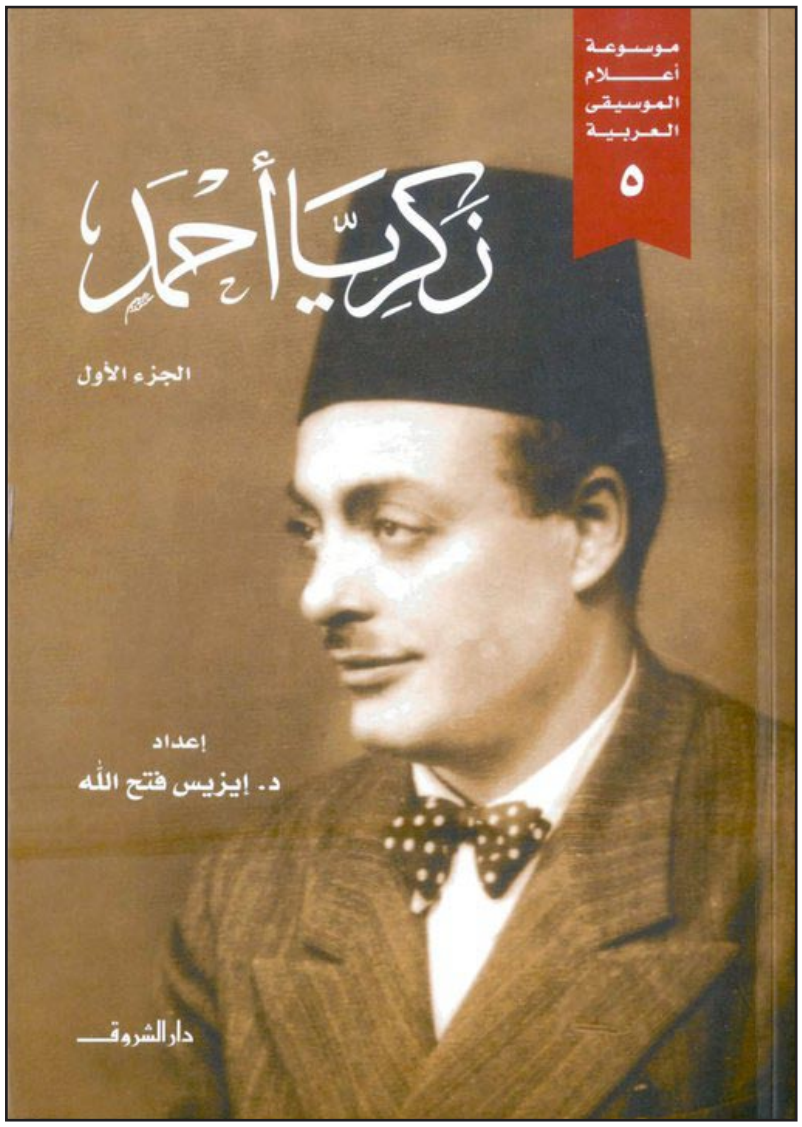

القاهرة - رويترز

يذهب كتاب توثيقي عن شيخ الملحنين زكريا أحمد إلى أن له فضلا لا ينكر في تجديد طابع الموسيقى العربية بصورة تجعله جديرا بأن يكون 'عبقريا في مقاعد صناع تراث الإنسانية' في مجال الموسيقى وإن لم يحظ بشهرة تليق بانجازاته.

ويستشهد الكتاب بأغنياته التي ما زالت تمنح السرور في الأفراح والمناسبات السعيدة ومنها (يا صلاة الزين) و(يا حلاوة الدنيا) و(الورد جميل) رغم مرور أكثر من نصف قرن عليها 'وهو أمر يستحق النظر' لأن صوته الأجش لم يكن جميلا لكنه كان يملك ما هو أبلغ من جمال الصوت وصفائه وهو عبقرية الخلق وسحر التصرف وروعة الأداء وعمق الإحساس بالكلمة وربطها بالنغمة' والسيطرة على إيقاع الكلمات.

ويضيف الكتاب أن أغنية (الليلة عيد) التي غنتها أم كلثوم لم تعد تراثا فحسب بل 'تقليدا اجتماعيا قل أن ينجح أحد في صنع مثله' إذ صارت هذه الأغنية جزءا من الإحساس الشعبي بقدوم العيد.

ويقع كتاب (زكريا أحمد) في أكثر من ٤٠٠ صفحة كبيرة القطع وهو العمل الخامس في (المشروع القومي للحفاظ على تراث الموسيقى العربية) الذي تديره ياسمين ماهر عبد النور وأنجز في الفترة الماضية أربعة أعمال توثق تراث كل من أم كلثوم وسيد درويش وسلامة حجازي ومحمد عبد الوهاب.

والكتاب الذي أعدته إيزيس فتح الله صدر عن دار الشروق في القاهرة بالتعاون مع مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي بمكتبة الإسكندرية ضمن (موسوعة أعلام الموسيقى العربية).

وقال مدير مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي فتحي صالح في المقدمة إن لديه خطة لتوثيق التراث الموسيقي تتضمن بناء قواعد بيانات شاملة لأعلام الموسيقى منذ نهاية القرن التاسع عشر ستشمل كتبا عن رياض السنباطي وفريد الأطرش وغيرهما.

ويقول الكتاب أن أحمد (١٨٩٦-١٩٦١) درس في الأزهر وكان أبوه يؤهله ليصبح من علماء الدين حيث أتم حفظ القرآن ودرس علوم اللغة والفقه الإسلامي وارتدى الزي التقليدي للمشايخ لكنه مال إلى الإنشاد الديني وساعده حفظ القرآن على التمكن 'من روح اللحن العربي' وتعلم أصول الإيقاعات الموسيقية على يد الشيخ درويش الحريري 'الذي كان حجة في الموسيقى العربية'.ويقول الكتاب إنه خاض تجربة التلحين للمسرح لأول مرة في ١٩١٦ إذ قدم ألحانه مجانا لعرض (فقراء نيويورك) الذي قدمته فرقة مسرحية من طلبة هواة ضمت الممثلين حسين رياض وحسن فايق.

ثم عاد إلى تجربة التلحين المسرحي في ١٩٢٤ في عرض (دولة الحظ) الذي قدمته فرقة علي الكسار بعد رحيل فنان الشعب سيد درويش الذي تميز في هذا المجال.

وكان آخر ألحانه للمسرح عرض (عزيزة ويونس) تأليف محمود بيرم التونسي في ١٩٤٥.

ويسجل الكتاب أن شيخ الملحنين بدأ في ١٩٢٣ مجال 'التلحين الدنيوي' بالأغاني الخفيفة فمن ألحانه غنت منيرة المهدية (١٨٨٥-١٩٦٥) الملقبة بسلطانة الطرب أعمالا منها 'ارخي الستارة اللي في ريحنا- لحسن جيرانك تجرحنا' وغيرها من الأعمال التي 'كانت سبب في فرض الرقابة على الأغاني' نظرا لاعتبارها خادشة للذوق العام في نظر البعض في تلك الفترة.

ويضيف أن لقب 'شيخ الملحنين' لازمه حتى آخر حياته على الرغم من تخليه عن زي المشايخ الذي ارتداه في بداية حياته الفنية إلى أن سافر إلى باريس وعاد منها يرتدي الطربوش في ١٩٣٢ بعد اشتراكه مغنيا وملحنا وممثلا أمام الفنانة نادرة الملقبة بأميرة الطرب في فيلم (أنشودة الفؤاد) الذي كتب حواره وأغنياته شاعر القطرين خليل مطران وأخرجه الإيطالي ماريو فولبي.

ويسجل الكتاب أنه 'أول من لحن للسينما المصرية في أول فيلم غنائي مصري' وأنه قام في فيلم (انشودة الفؤاد) بدور الشرير الذي كان مقررا أن يؤديه الممثل استيفان روستي الذي اشتهر بخفة الظل في أدوار الشر في كثير من الأفلام المصرية.

ويستعرض الكتاب بعض أشكال التطوير اللحني لدى شيخ الملحنين ومنها إدخال الجمل الكلامية أثناء الغناء في عمله (قوللي ولا تخبيش يا زين) الذي غنته أم كلثوم في فيلم (سلامة) في ١٩٤٥.

ويضيف أنه استطاع 'إحياء الكثير من الأوزان العربية غير المستخدمة في الألحان' مثل أغنية (بعد ما ضحيت حياتي في الغرام) التي أداها صالح عبد الحي في ١٩٣٢ وتطوير شكل الأغنية القصيرة إذ أرشد كلا من محمد القصبجي ورياض السنباطي ومحمد عبد الوهاب إلى التحرر في معالجة هذا اللون الغنائي في الأفلام والمسرحيات.

زكريا أحمد... والمسرح الغنائي

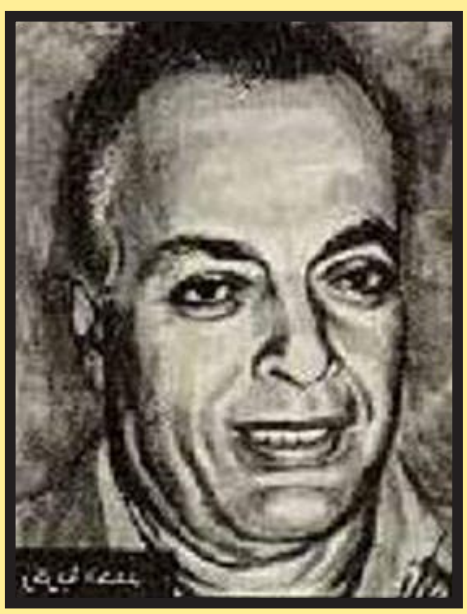

■ نهاد عسكر

(الاوبريت): عبارة عن رواية مسرحية غنائية تتخللها الألحان من آن لأخر، أي أنها ليست ملحنة جميعا كما عرفها (د. محمد أحمد الحفني) في كتابه (الموسيقى النظرية). كما عرّف (الأوبرا): (دراما موسيقية غنائية كلها ملحنة). ويعد الشيخ سلامة حجازي(١٨٥٢-١٩١٧) من الرواد حيث أستطاع أن يقدم للمسرح الغنائي من خلال فرقته العديد من الاوبريتات.. وبعده ظهر من عباقرة الفن الموسيقي والغنائي داود حسني(١٨٧١-١٩٣٧) والذي كان أول من لحن وقدم الاوبرا العربية وتوالت بعده أسماء كثيرة وكبيرة ومن الفنانين الذي أستهوتهم الاوبريتات وجذبتهم مثل الشيخ سلامة من تحت الغناء الانفرادي إلى الغناء الدرامي الجماعي الشيخ زكريا أحمد(١٨٩٦-١٩٦١)، حيث قدم في عام ١٩٢٤ (٣) أوبريتات منها دولة الحظ) قبل أن يخلع العمامة ويلبس البدلة. ثم توالت أوبريتاته حيث قدم أكثر من (٥٠) أوبريتا منذ عام ١٩٢٤ وحتى عام ١٩٥٤ حين ختمها باوبريت(عزيزة و يونس) للفرقة القومية المصرية، ومن الملاحظ أن المسرح الغنائي (الاوبريت) رحل الا بحدود نادرة على خشبات المسارح، لاسيما في مصر بعد رحيل فنانوه الكبار عن مسرح الحياة. فيا ترى متى نشاهد العافية قد ردت إلى مسرحنا الغنائي العربي في مصر وبقية البلدان العربية!؟.

مع ام كلثوم ومحمد القصبجي والسنباطي

- إنت سمعت الست مبارح؟
- لا والله، أصلي نمت بعد الوصلة الأولى؟
- وهو في حدّ بينام والست بتغني؟
- إنت عاوز الجد يا ابراهيم، أنا باموت في الست لما تغني حاجة للشيخ.

وبعد، فإن الست هي أم كلثوم، والشيخ هو زكريا أحمد. هكذا كان متعارفا عليهما بين الناس. والحديث بعض من حوار جرى أواخر عام ١٩٥٣ بين عاملين في مقهى لم يعرفا بوجود الشيخ الذي يتحدثان عنه، وحين سمع هذا الكلام غمرته السعادة وقال لرفيقه: هذه الكلمة تساوي عندي أكثر من مليون جنيه".

هذه هي مكانة الشيخ زكريا أحمد التي وصلها يوماً في المجتمع المصري والعربي، فأردنا أن لا تمر هذا العام ذكرى رحيله الخامسة والأربعين. نتذكر اليوم بعض مزايا أحد أبرز كبار الملحنين خلال القرن العشرين. عرف بغزارة نتاجاته كما ونوعا على السواء. فنان تمسك بجذوره إلى آخر لحظة من حياته، وعشق شرقيته وعروبته.

غادر الدنيا في عام ١٩٦١ في اليوم الأربعين لرحيل رفيقه شيخ كتّاب الأغنية الشعبية بيرم التونسي.

سحر طه

زكريا أحمد والاغنية العربية الحديثة

رحل تاركاً إرثاً غنياً (تجاوز الألف أغنية و ٥٦ أوبريت)، تنهل منه الأجيال أفكاراً لحنية مشرقية متجددة ومضامين تأليفية ثرية بالسلالم والأنماط والتلوينات غير المستهلكة، والتي تنوعت ما بين الدور والموشح والطقطوقة وأغاني للمسرح والسينما ستبقى على مرّ العصور.

صاحب الروائع: "الورد جميل" و"قل لي ولا تخبيش يازين" و"يا حلاوة الدنيا" و"الأهات" و"هو صحيح الهوى غلاب" و"يا ويل عدو الدار" و"يا صلاة الزين" و "أهل الهوى"، والقائمة طويلة...

فكيف كانت مسيرة هذا المخلص لفنه، المعتد بآرائه، والإنسان الذي لم يتنازل عن حقوقه لأي كان حتى لأم كلثوم مالئة الدنيا، لكن كلمة طيبة تفيه حقه كانت تجعله ينسى الإساءة.

ربما يكون الراحل زكريا أحمد من فنانين قلائل كتبوا سيرتهم بأنفسهم. إذ بدأ بكتابة مذكراته اليومية منذ عام ١٩١٦، إثر حادثة، وبتفاصيل دقيقة، فكانت المعين الأول والمصدر لباحثين ومؤرخين درسوا حياة الشيخ وكتبوا عنه المؤلفات منهم صبري أبو المجد صديقه الذي ائتمنه زكريا على يومياته وسمح له بنشرها بعد وفاته وليس قبلها، لكن كتاب "السبعة الكبار" للباحث فيكتور سحاب يعتبر الكتاب الوحيد لجهة تحليل فن وأعمال وأسلوبي الشيخ زكريا أحمد في التلحين والغناء.

شقاوة طفولة وتمرد الشباب

قبل أن يلتحق زكريا أحمد بالقسم الابتدائي في الأزهر الشريف، كانت دراسته الأولى في كتاب الشيخ "نكلة". رغم شطارته وذكائه، وسرعة حفظه وحلاوة صوته، فإن شقاوته البالغة وعشقه للغناء تسببا بطرده أكثر من مرة من الأزهر. وتنقل بين مدارس عدة من مدرسة خليل آغا الأولية إلى الأزهر مرة أخرى ليجيد تلاوة القرآن الكريم. ومنذ صغره كان زكريا يميل إلى الغناء ويرتاد الموالد والأذكار ويطيب له سماع الشيوخ المعروفين بقراءاتهم وتلاواتهم وكذلك غنائهم.

تعلم على يد درويش الحريري أهم شيوخ الموسيقى على الإطلاق، حسب قول سيد مكاوي.

وعرف عن أحمد خوفه من تعنيف والده له فكان يشتري الكتب ويغلفها بأغلفة كتب التاريخ والأدب أو الدين. وفي سن المراهقة خلع الجبة والقفطان والتجأ إلى أقاربه بسبب خصامه مع والده الذي اضطر أمام الأمر الواقع إلى مصالحة ابنه إلا أن المصالحة لم تدم طويلاً إذ كانت سلسلة مآس في انتظار زكريا من موت والدته إلى زواج والده بامرأة كانت تكيد له باستمرار.

عشق زكريا أحمد الغناء من صغره حين كان يسمع والدته (تركية الأصل)، تترنم بنغمات تركية شجية بعيداً من سمع الوالد، وهذه النغمات تركت أثرها في أعماق الصبي وفي مسيرته الفنية فيما بعد، وحين انتقل إلى القاهرة، عشق لياليها وحيويتها وأحب سماع الأذان وتأثر بهذه الأنغام السماوية وبالتواشيح الدينية التي كان ينشدها الشيخ درويش الحريري كما تأثر بألحان عبده الحامولي ومحمد عثمان وعبد الحي حلمي وسلامة حجازي وحفظ جميع تواشيحهم وأغانيهم ثم بدأ يخالط المنشدين والموسيقيين والمطربين.

كانت حياته مع والده عبارة عن معارك متكررة، وهروب، وحبس ومنع، ووسطاء إلى أن كان الحل الوسط في عمل زكريا كمقرئ للقرآن، ثم بدأ بتلحين الأهازيج والطقاطيق الخفيفة إذ ساد هذا النوع الخفيف في ذلك الوقت، وفيما بعد، في مرحلة النضج ندم على تلحين أغاني مثل "إرخي الستارة اللي في ريحنا لحسن جيرانك تجرحنا" وكذلك أغنية "بعد العشا يحلى الهزار والفرفشة".

ثم بدأت الحركة المسرحية الغنائية بالتبلور والمسارح تزدحم بالمطربين والمستمعين خاصة في شارع عماد الدين وحي الأزبكية وروض الفرج وغيرها. وكان ظهور الحاكي له الدور الهام في الفورة الفنية والنهضة الموسيقية والغنائية وبروز أسماء لامعة في التلحين والغناء ثم زيادة إقبال الناس على السماع واقتناء الفونوغراف وأسطواناته. وهنا برزت رغبة زكريا أحمد في دخول عالم التلحين للمسرح الغنائي خاصة بعد رحيل بطل المسرح الشيخ سيد درويش الذي رفده بالمسرحيات الخالدة والأوبريتات الغنائية. وكان زكريا شاركه تلحين البعض منها.

ثقافة وتواضع

عرف عن زكريا الفنان، بأنه ملحن واسع الثقافة ومتواضع في آن. فمن النادر أن نسمع وخاصة في أيامنا هذه، أن ملحناً وقف وراء الميكروفون يردد مذهباً في أغنية من لحنه، لمطربة وإن من الكبار. زكريا أحمد كان يطيب له في الكثير من تسجيلات أم كلثوم أن يتغنى بالمذهب مع المجموعة ويحضر التسجيل في الاستديو، وهذا نابع من حرصه على عمله، لكي يظهر في قمة الإتقان وكما يطمح. لذلك نستمع إلى أم كلثوم وهي تغني ألحان الشيخ زكريا، فيتناهى إلى أذننا ذلك الصوت الأجش العريض يخترق أصوات المذهبجية (الكورس) فيصلنا فريداً وواضحاً ومطرباً وهو يقول وراء الست: "العذول فايق ورايق عمره ما داق الغرام..."، و"قالولي إمتى قلبك يطيب وازاي يا عالم ازاي أنسى الحبيب..."، وغيرها من طقاطيق وأدوار. ولا يغيب عن بالنا غناؤه "الورد جميل" التي سجلها بعدما غنتها أم كلثوم بسنوات، أو أغنية "أهل الهوى"، وهل ننسى دور "ضيعت مستقبل حياتي" لحن سيد درويش لكن بتصرف الشيخ زكريا، في النغمات والعرب والقفلات، فيمنحها عصارة أحاسيسه الفياضة. ورغم تقدمه في العمر كان يظهر لنا مدى الثراء النغمي لديه والمخزون العلمي والخبرة الإيقاعية والأدائية التي منحته قدرة التحايل على الزمن وتحدي السن بأسلوب فني مبهر حتى بات البعض من الشباب يقلده في هذا الأداء.

خطوات أولى نحو القمة

تعلم زكريا على يد الشيخ درويش الحريري الذي يعدّ من أهم الموسيقيين في تاريخ البلاد العربية، وبعد أن شهد له بأنه أصبح صيتاً ألحقه ببطانة الشيخ علي محمود، وكان الشيخ علي سبباً في غرام الشيخ زكريا بالأذان، ذلك أن للأول طرق أداء خاصة بالأذان والتسابيح والابتهالات التي تتلى قبل الفجر في المسجد الحسيني ولكن بطريقته الخاصة حيث كان يؤدي الأذان كل يوم بنغمة مختلفة، فالسبت بنغمة عشاق، والأحد نغمة حجاز والإثنين نغمة سيكاه، وكل أثنين في الشهر ينوع بين السيكاه والبياتي أو بينه وبين الحجاز ثم بينه وبين الشوري على الجهاركاه والخميس راست والجمعة بياتي وهكذا كان الشيخ علي محمود ثاني أستاذ بعد درويش الحريري.

ثم كان التحاقه بفرقة الشيخ اسماعيل سكر وكان صيته يملأ البلاد واتجه أعيان القاهرة وكبارها لسماعه، وصولا إلى السلطان محمد رشاد خليفة المسلمين دعاه إلى الإستانة ليقرأ في حفلة كبرى، ورغم إن الآية الأولى التي استهل بها الحفل كانت تتعرض للسلطان إلا أن الأخير منحه النيشان المجيدي.

هنا بدأ يفكر بالتلحين لنفسه. لكنه آثر أن يبدأ بشخصية خاصة به ونهج لم يسبقه إليه أحد من قبل، حيث العودة إلى الريف والنهل من هذه الجذور، والحفاظ على الجمل الأصيلة النابعة من الناس البسطاء.

◄

دوره في ثورة ١٩١٩

في معرض حديثه عن أثر الفنانين المصريين وأعمالهم في إذكاء الروح الوطنية وتأجيج نار الثورة، يقول صبري أبو المجد: ربما لم يكن الشيخ زكريا أحمد من قياديي ثورة ١٩١٩، لكن بالتأكيد انغمس فيها وصفى أعماله ولم يقبل الارتباط بأعمال جديدة منذ ٩ آذار في تلك السنة وحين كان يسافر لإحياء أمسيات كان يتلو القرآن أو يقرأ الموالد النبوية، ويحمل بعض الرسائل من ثوار القاهرة إلى ثوار الأقاليم يضعها في طيات شال العمامة. وعندما يقرأ القرآن للجمهور كان يختار الآيات التي تحض على الاستبسال في الدفاع عن الأوطان والجهاد في سبيل الله وأكثر من مرة وفي أثناء وزارة يوسف وهبة باشا كان يقرأ وسط الشبان الوطنيين الثائرين قول الله تعالى: "اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم..." وكان يقرأ هذه الآية بالقراءات السبع وبالأربع عشرة قراءة مرات أخرى. وأكثر من مرة اجتمع في اجتماعات الأزهر وألقى خطباً وأناشيد وأغاني كانت تقابل من الجمهور بالتصفيق والهتاف..."

وفي تلك الفترة لحن زكريا أحمد ألحاناً سرت في الناس مسرى النار في الهشيم ومنها ما غناه عبد اللطيف البنا "قال يا سعد مين غيرك زعيم"، و "يا مصري دي أيام أنسك" و "لمصر فيك يا سعد"، ومنها غناه زكي مراد كنشيد "مصر أولادها رجال" و "نار الوطنية في القلب". وكان لزكريا أحمد نشيد اسمه "سعد زغلول" كان يلقى في بداية العمل بمسرح الماجستيك حيث كان الجمهور والمنشدون والمطربون يرددونه معاً وقوفاً.

زكريا في رأي آخرين

رغم إن الكثير من الأعداء هاجموا زكريا أحمد واتهموه بسرقة سيد درويش مثل الكاتب يونس القاضي ومحمد البحر إبن سيد درويش، لكنه أكمل طريقه وأثبت بما لا يقبل الشك بأنه صاحب فن خاص وذلك من خلال مسيرته وفيض ألحانه ومسرحياته.

عبد الحميد توفيق زكي

من أهم صفات زكريا أحمد الإنسانية، يذكر الناقد زكي في كتابه "أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة"، إنه كان شديد الحرص والإخلاص لأصدقائه، وله نظرة فلسفية في الحياة. لم يهتم يوماً بالمادة بقدر اهتمامه بأصدقائه وزيارتهم ومجاملاتهم. عاش حياة طبيعية ولم يعرف للحياة قيوداً ولا حدوداً، وحين يلحن يعيش مع اللحن وينسى الكون وما فيه. كان عزيز النفس بدرجة كبيرة للغاية ويمكن أن نتصور زكريا أحمد وطبيبته كإنسان في كلماته المأثورة التي كان يرددها دائماً: "الفلوس لا بتدوم ولا الشتيمة بتلزق.."

فيكتور سحاب

خصص الدكتور سحاب فصلاً ضمن كتابه "السبعة الكبار"، تضمن دراسة شاملة عن الراحل نقتطف منها أهم ملامح فن زكريا وسماته، إذ يميّزه كثيراً من بين مجايليه من الموسيقيين، "... بمزاجه الخاص ذي المقومات المركبة". وفي حين يراه البعض بأنه "...محافظ يعاند التطوير والتبديل"، يعتبره سحاب بأنه طور شكلين من أهم أشكال الغناء العربي هما الدور والطقطوقة ويسوق الأدلة والبراهين من خلال تحليل أعماله في هذين النوعين أو القالبين من قوالب الغناء العربي، ويعيد إليه الإسهام في تطوير أشكال أخرى... و"...تطويره لم يمس آلات الموسيقى العربية أو المقامات العربية أو الإيقاعات. إذ أسس تطويره على ملامح عربية أصيلة، فحفظ المضمون وبدل في الأشكال، منطلقاً من الأشكال الأصلية."

في الغناء اعتبر الشيخ مدرسة، ومن أهم عناصرها، حسب سحاب، النبر المؤخر، الذي ينم عن إحساس كامل وسيطرة مطلقة على إيقاع الكلم وتفعيلات الموازين. مما تبيح له التصرف بتقطيع الجمل كيفما يشاء.

ثم العُرب القديمة في الغناء والخفة الموروثة عن أسلوب الإنشاد الديني وصوته العريض واستخدامه الطبقات المنخفضة بشكل لافت، والدقة في التلوين المقامي، والتصرف العبقري في اللحن وخياله الموسيقي الخصب.

محمد حسن الشجاعي

المستشار الموسيقي في إذاعة القاهرة تحدث عن غزارة ألحان زكريا أحمد بأنه لم يتوافر لأي فنان في العالم العربي ولم يسقط منه لحن.

زكية حمدان

تروي إن زكريا أحمد أمضى شهر آب من عام ١٩٥٠ في بيتها في الأشرفية ليحفظها لحن أغنية "يا حلاوة الدنيا" وتقول إنه حفّظ الموسيقيين الأغنية مثلما دونت ولما حفظوه جمع أوراق النوتة وقال لهم: "دلوقت نزيح النوتة، ونعزف على المزاج".

نجيب محفوظ

يروي إنه كان في "...سهرة سمر مع الشيخ زكريا ومجموعة من "أهل الهوى" رفاق زكريا، حين أخذ الشيخ يلحن أغنية أم كلثوم: "إيه اسمي الحب ما عرفش" مقطعاً مقطعاً، فيُسمع السامرين اللحن ويستشيرهم فيه، فيخرجون من السهرة وقد حفظوا الأغنية المقبلة لأم كلثوم. وقد لحن "يا ما أمرّ الفراق"، في وسط جنازة شاب، متأثراً بحزن المشيعين. فإذا أمسك بمفتاح اللحن مرّ به الأصدقاء وحيّوه، فلا يرد".

سليم سحاب

.إن ("...زكريا أحمد يتبع في المعتاد تصعيد الانفعال في ألحانه، أسلوب التتالي، وهو أسلوب ترداد فقرة موسيقية على درجة أعلى أو أخفض، مثنى وثلاث، حتى بلوغ دورة الانفعال. وقد أمكن إحصاء نماذج لهذا الأسلوب الملحمي، الموروث عن مدرسة القرن التاسع عشر المصرية الموسيقية، مثل: "خلي السيف يقول"، "يا حلاوة الدنيا"، "يا صلاة الزين"، "الورد جميل"، "دور أه يا سلام"، و بداية "يا بشير الأنس"، "دور إنت فاهم"، وأنشودة "يا ويل عدو الدار"). الشهيرة التي غناها محمد قنديل.

محمد عبد الوهاب

."...هذا الرجل هو أصدق من يعبر عن رأيه بالطريقة التي يحبها. وبعض شبان اليوم لا يهضمون هذه الطريقة. ولكن الواقع أن زكريا يعبر عن طبيعة نفسه بصدق وفهم نادر الوجود... في طبعه هو أيضاً التحدي، فهو يستطيع تلحين التانغو والرومبا والفوكس تروت، لكنه يصر على تلحين ذلك النوع الذي وصل إلى مركزه في عالم التلحين عن طريقه".

وأيضاً قال عنه: "إن زكريا أحمد هو الوحيد في مصر ذو اللون الشرقي البحت الذي لا يدخل عليه أي تجديد. وهو وإن كان جميلاً ومطرباً، إلا أن هذا اللون كان يلحن به الموسيقيون عام ١٩٢٠،. وربما كان هو أبعد نظراً مني في هذا لكنني أرى لزكريا أن يحاول التجديد في موسيقاه، فلربما استفاد من عراقته إن هي طعمت بألوان الفكر الجديد".

رياض السنباطي

. إن زكريا أحمد هو التلميذ المخلص للمدرسة الفنية القديمة، وله طابعه الخاص الذي اشتهر به، الميال إلى المرح حتى في الشكوى والأنين. فكأنه كالطير يرقص مذبوحاً من الألم.

رأيه في سيد درويش

كان الشيخان بمثابة توأمين، فسيد درويش يترأس الثورة في الموسيقى العربية فيما كان أحمد يذود عنها طوال حياته. ومما قاله لأبو المجد وحسب رواية زكريا أحمد في أيامه الأخيرة، إنه التقى الشيخ سيد مرات كثيرة في الاسكندرية قبل عام ١٩١٦. وفي مذكرات الراحل يذكر مدى انبهاره بعبقرية سيد درويش وتمجيده وإعجابه بالمدرسة الموسيقية التي جدد كيانها، واعترافه بزعامة سيد الفنية.

حفظ أحمد كل أعمال سيّد وتأثر بتلحينه الروايات المسرحية والغنائية تأثراً واضحاً، فلما مات سيد ورث منه زكريا زعامة المسرح الغنائي، والقدرة على التعبير التمثيلي في الموسيقى وغزارة الألحان. وأكثر من ذلك فقد ورث صداقة العمر مع بيرم التونسي الذي كان يشكل ثنائياً مع الشيخ سيد.

خلافه مع أم كلثوم

التقاها عام ١٩١٩ ودامت علاقته بها قرابة ثلاثين عاماً، يومها جاءت إليه من السنبلاوين، بالقرب من قريتها طماي الزهايرة سمعها مع شقيقها خالد ثم زارها في قريتها، وذكر هذا في مذكراته، ثم أهدى إليها موشحاً وطقطوقة في بيتها، ودعاها إلى القاهرة. فجمعتهما سهرة ضمت محمد القصبجي وأحمد صبري النجريدي (الذ أصبح زوجها فيما بعد) والشيخ أبو العلا محمد. وبعد السهرة تم اتفاقها مع علي الكسار، لتغني بين فصول رواياته أغنيات أبو العلا وانجريدي والقصبجي، ويقول زكريا: "...منذ تلك الليلة وأنا أصم لا أسمع إلا صوتها، أبكم لا أتحدث إلا باسمها. فقد أصبحت مفتوناً بها، لأنني أحببتها حب الفنان للحن الخالد وتمنى العثور عليه دهراً طويلا. ولكن الخلاف بدأ عام ١٩٤٨ على بدل الأتعاب لألحانه لأنها كانت تضن عليه بالأجر، وكانت غالبية الملحنين يومها تشكو من هذا الأمر، فتوقف عن التلحين بل وقاضاها في المحكمة وبعد سنتين تم الصلح عند قاضي المحكمة، لكنه ظل يردد طويلاً بعد خصامه معها : "أم كلثوم لها عندي وزة (أكلها في بيتها يوم زارها) ولي عندها أربعون ألف جنيه". المبلغ الذي طالبها به لدى المحكمة.

الحانه لغير أم كلثوم

وغنى له العديد من المطربين والمطربات غير أم كلثوم: عبد اللطيف البنا، صالح عبد الحي، زكي مراد، الشيخ أمين حسنين، بديعة مصابني، فاطمة رشدي، نادرة، أسمهان، نعيمة المصرية، حامد مرسي،فتحية أحمد، ليلى مراد، نجاة علي، منيرة المهدية، عزيز عثمان، محمود شكوكو، رتيبة أحمد، محمد الكحلاوي، شافية أحمد، فايدة كامل، محمد قنديل، نجاة الصغيرة، اسماعيل شبانة ونجاح سلام في موشح بنت كرم. وآخرين.

آراء هامة في الموسيقى العربية

ودائما حسب سحاب: إن لزكريا إذ كان متعصباً لها، ففي حديث لمجلة الإذاعة اللبنانية عام ١٩٥٠، قال: "إن الألحان المصرية والتونسية واللبنانية والعراقية وغيرها من الألحان العربية هي فروع لعائلة واحدة، لا جدل أن بينها بعض الفوارق. ولكن الفنان اليقظ يقدر بسرعة أن يلمس هذه القربى الشديدة بين الألحان. ولهذه

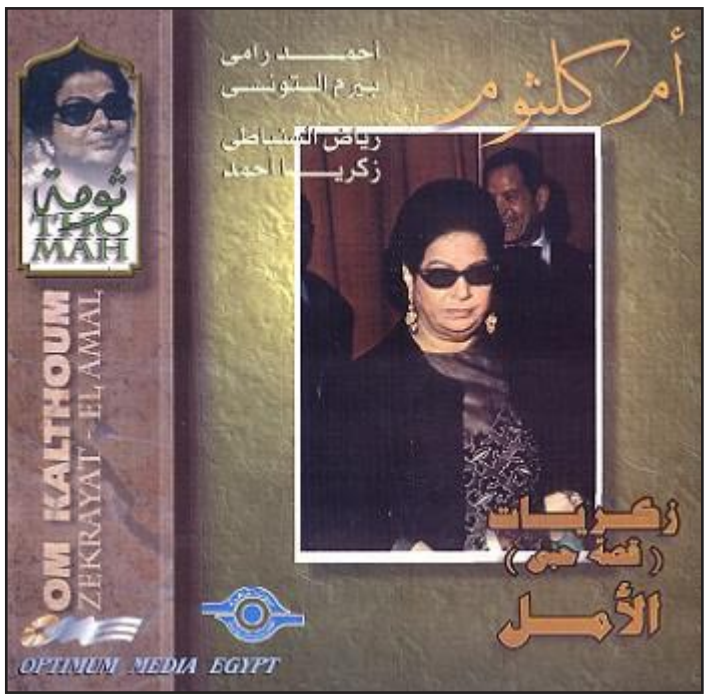

العائلة النغمية أنسباء وأقرباء في الأقطار الشرقية المجاورة، هي الأقطار الفارسية والتركية وألحان بعض البلدان البلقانية. غير أن ضابطاً واحداً يجمعها كلها جميعاً هو الوحدة الموسيقية التي يتوقف عليها ضبط الألحان وموازينها".

وقبل وفاته ذكر في صحيفة الجمهورية المصرية: "من العار على كل موسيقي مصري أن يقول إن موسيقانا محلية. وعبد الوهاب له قطع كثيرة تصلح لأن تكون موسيقى عالمية. واللحن الشرقي الأصيل، مهما مر عليه الزمن ممكن تداوله عالمياً، يدل على ذلك أن أغنية "زوروني كل سنة مرة" موزعة توزيعاً عظيماً ولحنها شرقي صميم وهي من ألحان المرحوم سيد درويش، وعمر لحنها الذي يذاع اليوم أربعون عاما".

ويضيف أحمد: "إننا لم ندرس الموسيقى في الخارج، وقليل منا الذي يحمل شهادات موسيقية، والذي يدرس الموسيقى الغربية بالخارج لا يستطيع أن يغني عربي أو يلحن عربي صميم، والدليل أن رابعة العدوية جميع ألحانها ليس بها لحن عربي كألحان سلامة. وقد أرسلت لي الإذاعة كي أنقذ الموقف وأعيد تلحينها بسبب جهل الملحنين في تصوير اللحن بالطابع الذي يتطلبه الموقف، لأنهم وضعوا لحناً لواحدة عربية متصوفة هي رابعة، يصلح لواحدة إفرنجية اسمها زيزي في جاردن سيتي".

وفي مفهوم تجديد الموسيقي العربية قال: "إن هذا الذي يسمونه تجديداً في الموسيقى هو في الواقع قضاء على روحنا الشرقية الأصيلة. إن الموسيقى لم تعد في هذه الأيام إلا متاجرة بعواطف المستمعين. والألحان التي يقال إنها مجددة هي التي تهدم الذوق الفني في الشرق. أما أنا فلن أهبط بفني إلى مستوى المتاجرة. سأظل على ما أنا عليه، أعطي لحناً واحداً قوياً في العام وأصبه في حنجرة صافية تحسن تأديته ثم آوي إلى نفسي وأنا في اطمئنان إلى أنني أديت واجبي وليس أكره عندي من أن يمر الناس على لحن لي مروراً عابراً فلا يحسوا به".

ألحانه للسينما

شارك في تلحين ٧٣ فيلماً، تضمنت ٩١ أغنية من ألحانه.

١٩٣٢، أنشودة الفؤاد، غناء نادرة. ١٩٣٤، النائبان، أو المندوبان. ١٩٣٥، بسلامته عاوز يتجوز.

١٩٣٦، وداد، أم كلثوم وأحمد علام. ١٩٣٦، نشيد الأمل، أم كلثوم. ١٩٣٧، مبروك. ١٩٤٠، ليلى بنت الريف ليلى مراد. ١٩٤٠، دنانير أم كلثوم. ١٩٤٠، عاصفة على الريح. ١٩٤١، العريس الخامس. ١٩٤١، الشريد. ١٩٤٢ عايدة ونداء القلب. ١٩٤٤ البؤساء وسلامة والقلب له واحد وليلة الحظ وأرض النيل. ١٩٤٥ الآنسة بوسة وأميرة الأحلام وليلى بنت الفقراء وكازينو اللطافة ونور من السماء. ١٩٤٧ أنا ستوتة وفاطمة. ١٩٤٨ نرجس. ١٩٥٠ حبيبتي سوسو. ١٩٥١ البنات شربات وآدم وحوا. ١٩٥٢ مسمار حجا وأنا وحدي وحكم قراقوش.

مقتطفات من مذكراته

عام ١٩١٨،

في ٢ كانون الثاني يزوره عبد الوهاب في بيته

٣١ آب يقابله سيد درويش

١٩١٩ فيه أحداث هامة كان لها أثرها في حياته، يقول:

في ٢ يونية عرفت أم كلثوم، وقد جاءت إلى السنبلاوين للاستماع إلي، وسمعتها تغني مع أخيها خالد وعزمتني عندها في الريف...

وفي ١٠ يوليو زرت أم كلثوم بطماي الزهايرة وأكلت عندها وزة على الطبلية.

في ٢٠ أغسطس تم زفافي.

عام ١٩٢٠

يسافر إلى المحلة الكبرى في ١٢ حزيران للعمل من أجل شهرة أم كلثوم.

في ١٤ سبتمبر عام ١٩٢١ ولدت له بنتاً لكنها توفيت بعد شهر ونصف.

ومن مذكراته في عام ١٩٦١ (عام وفاته) نقرأ ما يلي:

٦ يناير (ك٢): توفي إلى رحمة الله الأخ محمود بيرم التونسي، وشيعناه إلى ضريح السيدة زينب أنا وبديع وشهاب وكل من يعرفه...

٨ يناير: عملنا بروفة أم كلثوم صباحاً.. اتفقنا على وجود عبده صالح ليحفظ.. وقالت أم كلثوم: سأتصل بعبده صالح ليخبرك بموعد البروفة.

٩ يناير: توفي إلى رحمة الله أنور منسي، وعزينا فيه بعمارة الأوقاف...

١٢ يناير: أحيا أولادي عيد ميلادي وحضر الحفلة منصور وعائلة محمد عثمان الذي أرسل خروفاً، ورقصوا وغنوا وبعد خروجهم حضر الفيشاوي وعائلته واتعشوا وروحوا ٢ صباحاً...

١٤ يناير:...كلمني محمد فوزي لأقابله باكراً لنتكلم في تسجيل "هو صحيح الهوى غلاب" لأم كلثوم.

١٥ يناير: أجلت قضية الآهات ليوم ٥ فبراير.

١٣ فبراير: ذهبت إلى ملجأ العميان في الزيتون لأسمع صوتاً جديداً قيل إنه معجزة. كانت الليلة، ليلة الأربعين للمرحوم بيرم التونسي رحمه الله وغفر له ولنا جميعا.

١٤ فبراير: انتهت يوميات زكريا أحمد إذ توفي ليلتها....

أهم تسجيلاته بصوته

"الأمل"، "أنا في انتظارك"، "أهل الهوى ياليل"، "دور إنت فاهم"، "يا صلاة الزين"، "الورد جميل"، "دور ضيعت مستقبل حياتي" من ألحان الشيخ سيد درويش، ودور "الفؤاد ليه نهاره". ..وألحانه المسرحية

لحن لفرقة علي الكسار ثلاثين مسرحية

١٩٢٤. الغول، لبديع خيري. دولة الحظ لأمين صدقي.

١٩٢٥، ناظر الزراعة لأمين صدقي. عثمان حيخش دنيا لبديع خيري. الطمبورة لحامد سيد. الخالة الأمريكانية لحامد سيد. إبن الراجا لبديع خيري.

١٩٢٦، ٢٨ يوم لحامد سيد. أنوار لبديع خيري. آخر موضة لخيري. نادي السمر لسيد. الكونفال لسيد. أبو زعيزع لخيري. الوارث لخيري. حكيم الزمان لجبرائيل أجفا وأحمد زكي.

١٩٢٧. السفور. البرنس الصغير. مملكة الجمال. قفشتك وزهرة الربيع كلها لحامد سيد. وإبن فرعون لأحمد زكي.

١٩٢٨. البلابل والكنوز لبديع خيري.

١٩٢٩. العروسة. العيلة. مين فيهم. أبن الأومباشي. طاحونة هوا كلها لسيد حامد. مافيش منها. وملكة الغابة لخيري.

فرقة زكي عكاشة لحن ثلاث مسرحيات:

١٩٢٦. علي بابا لتوفيق الحكيم، الأستاذ والحساب لبديع خيري ١٩٢٧.

فرقة منيرة المهدية:

١٩٢٧. أبو النوم. الأميرة الهندية لحامي سيد. و ١٩٣٨ جيوكوندا والأميرة روشنارا لخيري.

فرقة عزيز عيد وفاطمة رشدي سبع مسرحيات:

١٩٢٧. سالامبو. بدر البدور. ١٩٢٨، حلم ولا علم. ١٩٢٨، الساحر أبو فصادة. السكرتير. غاية المنى. ٥ مليون.

فرقة نجيب الريحاني ثلاث مسرحيات:

١٩٢٨، ياسمين. ١٩٣٨، أنا وانت. ١٩٣٩ الدنيا جرى فيها إيه.

فرقة صالح عبد الحي مسرحيتان:

١٩٢٩، قاضي الغرام و١٩٣٠، عيد البشاير.

فرقة يوسف وهبي مسرحية واحدة:

١٩٣٠، الهاوي

الفرقة القومية مسرحيتان:

١٩٤٠، يوم القيامة و١٩٤٥، عزيزة ويونس.

للمعهد العالي للموسيقى

١٩٤١، مسرحية سيدي المنجد فقط.

عن مجلة وجهات نظر ٢٠٠٤

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
خالد خضير

التدقيق اللغوي
محمد حنون

صارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

أم كلثوم
بيرم التونسى
زكريا احمد
أهل الهوى
ثومة
THO MAH
OM KALTHOUM
AHL EL HAWA
OPTINUM MEDIA EGYPT

أم كلثوم
احمد رامى
بيرم التونسى
رياض السنباطى
زكريا احمد
ثومة
THO MAH
OM KALTHOUM
ZEKRAYAT - EL AMAL
ذكريات
(قصة حب)
الأمل
OPTIMUM MEDIA EGYPT

هو صحيح الهوى غلاب
سيدة الغناء العربى
أم كلثوم
من تسجيلات الحفلات
كلمات الأستاذ : بيرم التونسى
لحن الموسيقار : زكريا احمد
سيدة الغناء العربى
أم كلثوم

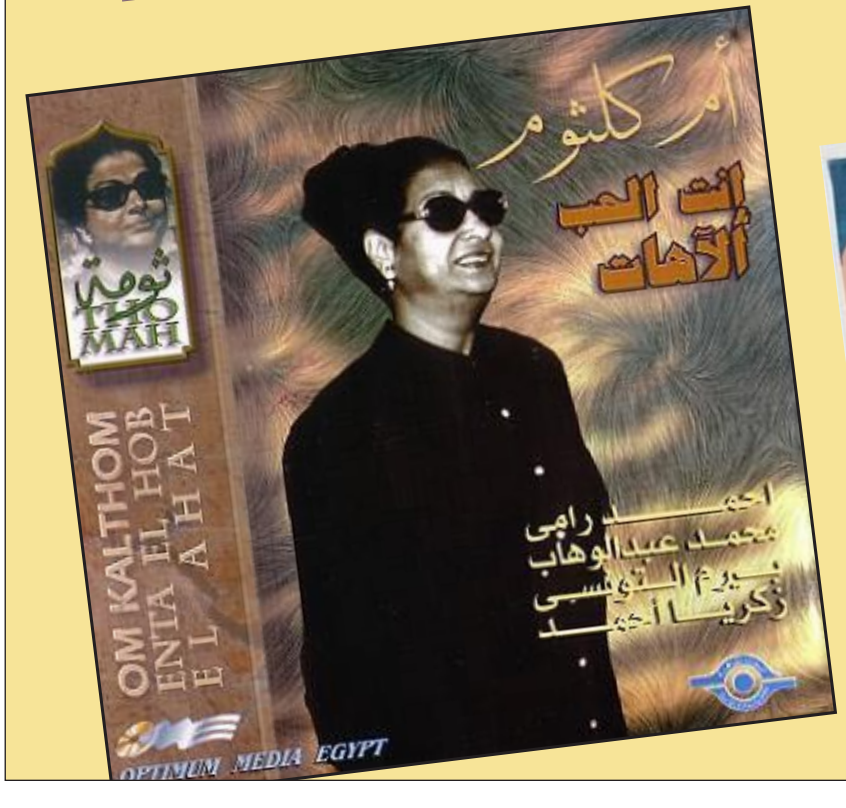
أم كلثوم
إنت الحب
الآهات
ثومة
THO MAH
OM KALTHOM
ENTA EL HOB
EL AHAT
احمد رامى
محمد عبدالوهاب
بيرم التونسى
زكريا أحمد
OPTIMUM MEDIA EGYPT

أم كلثوم
نيت شبابى